السبت 27 آب 2022
العدد 4711 السنة السابعة عشرة
Samedi 27 AOÛT 2022 nº 4711 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات
غرناطة العربية

تذبذب تركي حيال سوريا: عودة إلى لغة التهديد [9]

صفر كهرباء خلال أسبوعين؟ [2]

النووي الإيراني إسرائيل أمام «كارثة استراتيجية»

[8 ـ 9]

ما تخشاه إسرائيل ليس تحوُّل النظام السياسي الإيراني إلى نموذج بالنسبة لأنظمة المنطقة الأخرى، بل توجُّهه الاستقلالي في مواجهة مشاريع الهيمنة الأميركية والإسرائيلية (أ ف ب)

البلاد

تحت الاحتلال

عمّال الضفة **الصلب مرّتين** [12]

شتات

بيرة بمذاق الثورة [14]

بريد حنظلة

يستوطنون كل شيء [14]

قضية اليوم

صفر كهرباء خلال أسبوعين؟

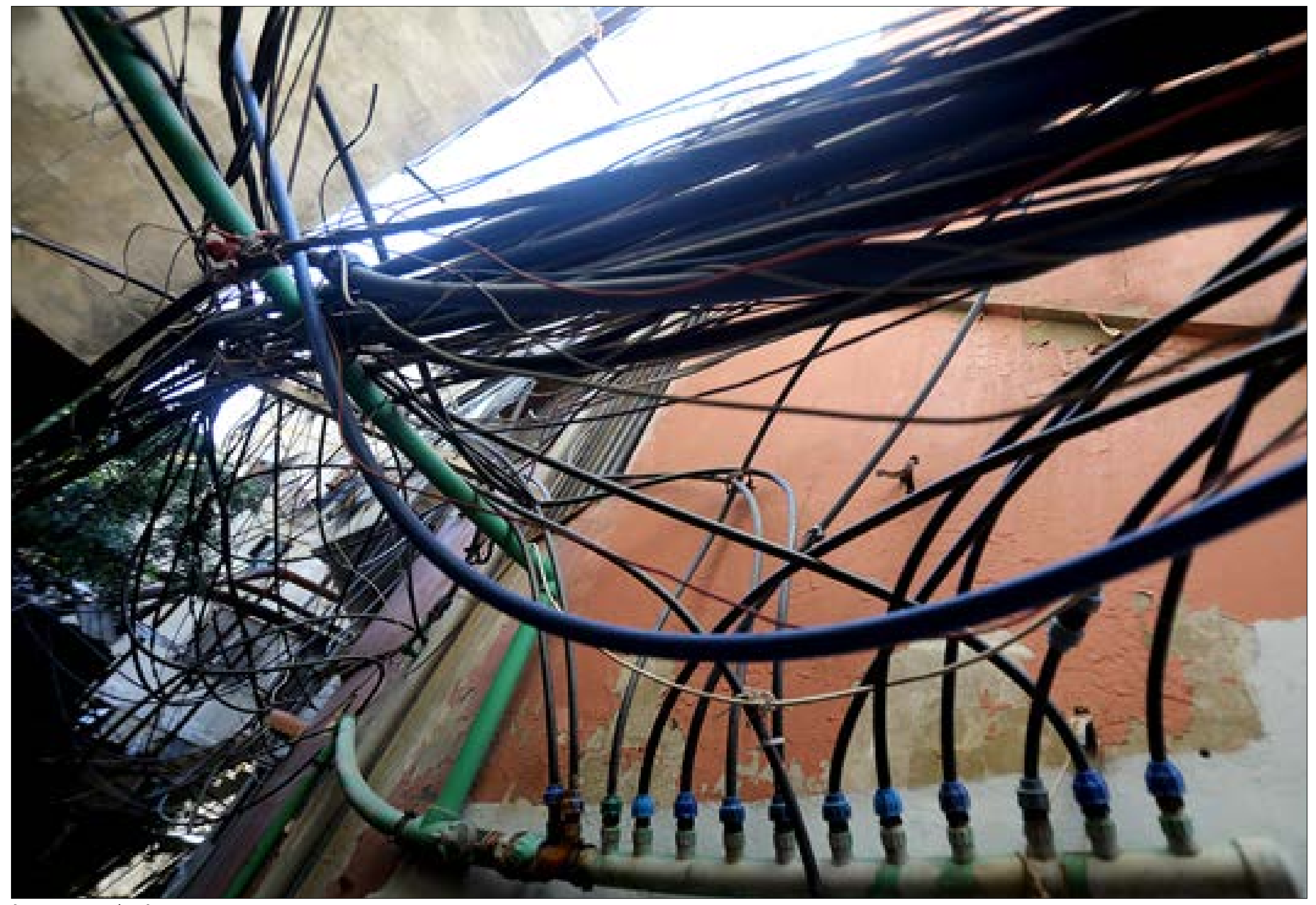
(هيثم الموسوي)

تتهدد العتمة الشاملة المناطق اللبنانية مع وقف «نعمة» الساعة أو الساعتين من التغذية اللتين يوفرهما الفيول العراقي بموجب اتفاق التبادل بين بيروت وبغداد. وبما أن وصول الشحنة المقبلة من الفيول العراقي سيستغرقُ أكثر من شهر، وفي ظل عجز الخزينة عن توفير «فريش دولار» لشراء الفيول، ومع اقتراب توقف معمل الزهراني عن العمل، فإن «الحل» الذي أعلن عنه وزير الطاقة وليد فيّاض، من قصر بعبدا أمس، عن استخدام الفيول «غرايد ب» المخزّن في معملي الذوق

وزارة الطاقة ومؤسسة كهرباء لبنان أقرا رفع التعرفة مع زيادة التغذية

والجية بالكاد يكفي لأسبوعين. إذ لا يتعدى حجم كمية هذا النوع من الفيول الـ 40 ألف طن.

ويؤمن معمل الزهراني 230 ميغاواط بينما توفر المعامل الكهرومائية 50 ميغاواط ما كان يُتيح استمرار تشغيل المرافق العامة في البلد، في مقابل ساعة تغذية أو ساعتين للمواطنين. إلا أن نفاد الفيول سيوقف معمل الزهراني عن العمل، على أن يخصص إنتاج المعامل المائية لتغذية مخارج تابعة لمؤسسة الليطاني، ولتغذية المطار.

وبحسب مصادر مطلعة فإن فياض تراجع عن رفضه طلباً تقدمت به سابقاً مؤسسة كهرباء لبنان لاستخدام هذا النوع من الوقود الذي يشغّل المحركات الأساسية في معملي الذوق والجية بسبب الكفاءة المتدنية للمعملين وفارق السعر بين الفيول «أ» و«ب». وأوضحت أن قرار فياض جاء بعد تدخل رئيس الحكومة نجيب ميقاتي للجوء إلى أي حل لتفادي العتمة الشاملة، لكنها شددت على أن ذلك «لا يبعد تهديد الظلام المطبق الذي يُمكن أن يقع في أي لحظة. إذ إننا نواجه مشكلة أخرى تتعلق بالشبكة التي تفاقمت رداءتها. والسبب أن الإنتاج المتدني يؤثر في استقرار الشبكات التي يجري تشغيلها بصعوبة. لذلك، حتى لو جرى تأمين الفيول فإن احتمال انفصال الشبكة عن العمل يبقى وارداً في أي لحظة». فيما يواصل رئيس الحكومة مكابرته ويبدو مستعداً للخوض في حل ترقيعي على أن حساب أي موقف ايجابي من الهبة الايرانية، ولا يزال يماطل، تحت ضغوط السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا، في تشكيل وفد تقني يتوجه إلى طهران لبحث العرض الايراني كما وعد، أو على الأقل إرسال كتاب رسمي إلى طهران يبدي موافقة لبنان على العرض غير المشروط.

فياض أعلن أنه ومجلس إدارة كهرباء لبنان وافقا على زيادة التعرفة تزامناً مع زيادة التغذية، «والمطلوب الآن موافقة وزارة المال ثم الحكومة، ومن الممكن أن تكون هذه الموافقة استثنائية من رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة»، مشيراً إلى أنه «إذا تمت الموافقة على رفع التعرفة، سنتمكن من تأمين ساعات تغذية إضافية بعد توقيع عقد للحصول على 110 آلاف من الفيول الإضافي، إلى جانب الـ 40 ألف طن من العراق، لنوفر 8 إلى 10 ساعات من الكهرباء بكلفة أقل من نصف سعر المولدات الخاصة». ولفت إلى «أننا كنا نعوّل سابقاً على البنك الدولي والغاز المصري والكهرباء من الأردن، إلا أن البنك الدولي وضع شروطاً جديدة، كزيادة التعرفة ووضع خطة لتغطية الكلفة والبدء بإجراءات إنشاء الهيئة الناظمة، ونحن نعمل على هذا الموضوع».

وأشار فياض إلى أن البحث جار عمن «يمنحنا الفيول وفق عقد معين وبشروط تسهيلية، لأن هناك وقتاً بين وصول الفيول وتأمين الكهرباء، ثم إصدار الفواتير، لتُدفع لاحقاً». وقال إن الجزائر أبدت استعدادها لمساعدة لبنان في هذا الإطار، وتمت مناقشة الأمر بين وزيري خارجية لبنان والجزائر، «ونحضر لزيارة إلى الجزائر للبحث في هذا الموضوع».

(الأخبار)

تقرير

روابط وجمعيّات المودعين... لم تستردّ وديعة

تحت شعار «الدفاع عن حقوق المودعين» تشكّلت روابط وجمعيات عدّة. ورغم اختلاف طرق العمل في ما بينها، إلا أن وديعة واحدة أو أجزاء منها لم تستردّ بالمسار القانوني داخل لبنان ولا عبر التحركات على الأرض، لعلّة في الجسم القضائي المرتهن ولعدم تجاوب المودعين أنفسهم إما لغياب الثقة أو الأمل. وحدهم من اختاروا المواجهة المباشرة مع المصارف ولو بالأساليب العنفية حصّلوا بعضاً من حقوقهم

ندى أيوب

منذ نهاية عام 2019 عقب الانهيار المالي والنقدي، ومباشرة المصارف باتخاذ إجراءات غير قانونية بحق أصحاب الودائع، كوضع سقوف للسحب وتقليصها تدريجياً، ومن ثم إيقاف السحب نهائياً بالدولار والتحكم بالسحوبات بالليرة وغيرها من أساليب سرقة ودائع الناس، ظهرت تشكيلات وأطر نشطت للدفاع عن حقوق المودعين واستعادة أموالهم، أبرزها ثلاثة: «رابطة المودعين» و«جمعية المودعين» و«صرخة المودعين»، قبل أن تنشقّ إلى «صرختين»! الرابطة والجمعية تقدمتا بطلب علم وخبر من وزارة الداخلية في عهد حكومة حسان دياب، إلا أن وزير المال آنذاك غازي وزني رفض بذريعة أن استعادة أموال المودعين من صلاحيات السلطة السياسية ممثلة بوزارة المالية لا الجمعيات.

بالتزامن مع التحركات الشعبية التي كانت ما زالت مستمرة في أواخر 2019 وبداية 2020 رغم فقدان الشارع زخمه في حينها، تركّزت تحركات «جمعية المودعين» برئاسة حسن مغنية أمام مصرف لبنان والسرايا الحكومية بشكلٍ أساسي، وأمام المصارف في حالات مواكبة المودعين. أما «رابطة المودعين» فأعطت أولوية أكبر للمسار القانوني. لا رئيس للرابطة، وإنما إدارة أفقية عبر لجان شكّلها 15 ناشطاً أغلبهم محامون واقتصاديون، وانتسب إليها 300 مودع. تقدّم اللجنة القانونية الاستشارات وترفع الدعاوى لمصلحة المودعين، فيما رسمت اللجنة الاقتصادية الموقف الاقتصادي والمالي ومعايير الحل، التي تتشارك و«جمعية المودعين» بوصفها بالمقبولة، كعدالة توزيع الخسائر وحماية متوسطي وصغار المودعين وأملاك الدولة واحتياطي الذهب وشطب أول جزء من الخسائر من أموال المصارف ورؤساء وأعضاء مجالس إداراتها. كما تصدر هذه الأطر مواقف وبيانات حول الخطط والقوانين ذات الصلة بالودائع كـ«الكابيتال كونترول» وخطة التعافي.

دخلت «صرخة المودعين» متأخرة إلى المشهد، في أواخر عام 2020 يوم انشق علاء خورشيد عن «جمعية المودعين»، وأسس وفراس طنوس «صرخة المودعين»، قبل أن تعود وتنقسم إلى فريقين، أحدهما يضم خورشيد ومعه المحامي رامي عليق، وآخر برئاسة فادي طنوس. إلا أن «الصرخة» تبدو كأنها تغرّد وحدها خارج السرب، إذ تتحرك على الأرض فقط بمفردها. كذلك تشكّلت أخيراً، «لجنة حماية حقوق المودعين» في نقابة المحامين، بعد فوز النقيب ناضر كاسبار، برئاسة المحامي كريم ضاهر، وللجمعية والرابطة ممثلون داخلها.

عملياً، أي تغيير حقيقي في قضية المودعين لم يحدث. ويتبيّن بحسب أرقام مصدرها لجنة الرقابة على المصارف، أنه بين نهاية 2019 ونهاية 2021، سجّل انخفاض في قيمة الودائع بنحو 52 مليار دولار.

وحدهم من اختاروا المواجهة المباشرة مع المصارف ولو بأساليب عنفية حصّلوا بعضاً من حقوقهم

وسجّلت الفئة (أ)، أي ما يسمّى صغار المودعين انخفاضاً بقيمة 4,6 مليارات دولار، مقابل انخفاض في الفئة (ب)، أي ما يسمّى كبار المودعين، بقيمة 22 مليار دولار. ما يعني أن الفرصة أتيحت لجزء من كبار المودعين، لتهريب ودائعهم إلى جانب تهريب ودائع المساهمين وأصحاب المصارف. أما من لا يملك شبكة مصالح وعلاقات مع المصارف، فقد اختار المسار القضائي. وفي معظم الحالات تولّت الجمعيات والروابط رفع مئات الدعاوى في لبنان، بقيت بدون أحكام لغاية اليوم، مقابل دعاوى قليلة في الخارج ربحت في غالبيتها ضدّ المصارف. اللافت أن القضايا الرابحة داخلياً تنوّعت بين إعادة فتح حساب، وتسديد قروض على السعر الرسمي للصرف (1500 للدولار)، وتحويل إلى الخارج، واسترداد ودائع. أما تلك المتعلّقة باسترداد الودائع فلم تصل إلى أي نهايات.

أمام فشل المسار القانوني أو إفشاله بفعل سطوة المصارف وارتهان الجسم القضائي، يعود السؤال حول إذا ما كان استخدام الشارع مجدداً خياراً فعالاً. بمراجعة للذاكرة، لم تشهد ساحات بيروت والمناطق خلال «انتفاضة 17 تشرين» زخماً كبيراً يعوّل عليه سوى في الأسابيع القليلة الأولى، ومن ثم في ليلة المصارف في كانون الثاني 2020، حين اختتمت التحركات الشعبية الضاغطة فعلاً. استمر المسار الانحداري حتى بتنا نبحث عن المودعين في تحركات الدفاع عن حقوقهم وملكيتهم والتي غالبيتها تصنّف بالهزيلة. الخلفيات برأي مغنية «تعود إلى حالة النكران المسيطرة على شريحة من المودعين الرافضين التصديق أن أموالهم تبخرّت. آخرون لا يزالون تحت تأثير رهبة المصرف، ويخافون إغضابه. وقسم ثالث ليسوا بمودعين حقيقيين بمعنى أنهم يملكون أموالاً طائلة في أرصدتهم تتخطّى ما كانت تسمح لهم وظائفهم بجمعه، وبعضهم موظفو قطاع عام ممن استفادوا من السرّية المصرفية». من جهته، هادي جعفر أحد مؤسسي «رابطة المودعين» يتحدّث عن انتقادات تطال الرابطة إن تحرّكت في الشارع، وأخرى إن لم تتحرّك. إن التقت بنواب أو لم تلتق. ويعيد الأمر إلى «عدم إيمان اللبنانيين بأن ثقافة التحرّك والمطالبة تحقق التغيير نتيجة انحلال العمل النقابي. وظنّاً منها أن الجميع ينشط ويضغط وفق أجندات ومصالح».

إذاً... ما الأدوار المتبقية على الروابط والجمعيات للقيام بها؟

تقرير

حزب الله والبقاء في بعبدا: الفراغ أقل خطراً

يحاول التيار الوطني فرض معادلات جديدة على حلفائه وخصومه في ما يتعلق بالفراغ الرئاسي. لكن لكل من الحلفاء والخصوم معادلات مختلفة. وفي مقدمهم حزب الله الذي تختلف حساباته عن رؤية التيار للحكومة والرئاسة معاً

هيام القصيفي

التباين في وجهات النظر بين حزب الله والتيار الوطني الحر، في مقاربة مسألة انتخابات رئاسة الجمهورية وتشكيل الحكومة، ليس جديداً. لكن الوقت الذي بات ضاغطاً على التيار، يجعل من هذا التباين مناسبة كي يطلق مجموعة من الاقتراحات يميناً وشمالاً، يمتزج فيها الدستوري بغير الدستوري.

يحاول التيار، من وجهة نظره، إحراج الجميع بطرح اجتهادات وأفكار و«توريط» الآخرين فيها، سواء من القوى المسيحية أو بكركي (وهو يعرف تماماً مواقف بكركي من هذه النقطة تحديداً) أو من حلفائه، بذريعة الحفاظ على الموقع المسيحي فلا يفرغ من شاغله تحت أي ظرف. لكن التيار، بسلوكه هذا السبيل، يعرف أنه يزيد على التوترات القائمة مشكلات جديدة تتعلق بالخلاف الدستوري وبالاجتهادات المتناقضة، وكثير منها أصبح غبّ الطلب وخارج كل منطق دستوري وقانوني، ويدخل لبنان في طريق خلافي جديد، لا يجد حزب الله طائلاً منه في مرحلة حافلة بالتحديات الداخلية والإقليمية.

من هذا المنطلق، دخل حزب الله على خط تحريك الملف الحكومي، انطلاقاً من ثابتة أساسية تتعلق بمقاربته للحكومة. وسواء كانت لتصريف أعمال أم عادية، فإنها لا تقدم أو تؤخر في مساره في التعاطي في ملفات الداخل وما يتعلق بالترسيم والمعادلات ذات الأبعاد الإقليمية. لا يقلل الحزب من أهمية تأليف الحكومة، لكنه ينظر إلى تنشيط هذا الملف على أنه محاولة لفك اشتباك دستوري وقانوني وعدم إشغال الساحة الداخلية بنقاش إضافي عقيم، لا أكثر ولا أقل. وتبعاً لذلك، يسعى إلى الذهاب بهدوء نحو الفراغ المتوقّع بحكومة كاملة تخفّف التوتر القائم. لكن الحزب يأخذ وقته كذلك، وهو هنا يتلاقى مع الرئيس نبيه بري الذي يفرمل بدوره أي انطلاقة للحكومة ولا يستعجل الذهاب إليها مبكراً، تماماً كما الرئيس المكلف نجيب ميقاتي. فالحزب وبري لا يضيرهما، بعد الانتخابات النيابية وحصانة موقع الرئاسة الثانية، أن ينصرفا عن الرئاسة الأولى والثالثة فيما القوى السنية والمسيحية منشغلة عن العمل الجدي في معالجة الثغرات المتعلقة بتشكيل حكومة فعلية وإجراء حتمي لانتخابات رئاسة الجمهورية.

عند حد كلام الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله والحث على تأليف الحكومة، تقف محاولة الحزب استرضاء حليفه، التيار الوطني الحر، الذي يمعن في ابتزازه بالترويج لأفكار تتعلق بالفراغ الرئاسي، لكن من دون أن يجاريه في أي طروحات، واجتهادات تتعلق ببقاء رئيس الجمهورية العماد ميشال عون في القصر الجمهوري بعد انتهاء ولايته. فافتعال مشكلة جديدة دستورية بطرح البقاء في بعبدا، يعني تفجير الوضع الداخلي بسبب معارضة معظم الحلفاء والخصوم لهذه المعادلة. ولا يبدو حزب الله في وارد القبول باحتمال من هذا النوع. فالفراغ ليس «آخر الدنيا» وسبق حصوله أكثر من مرة، ولن تكون خطورته أكبر من خطورة بقاء عون في موقعه، وما ستثيره هذه الخطوة من تأثيرات سلبية في الساحة الداخلية وإدخال لبنان في تجاذبات لا يرتاح الحزب إلى إشغاله بها من دون مبرر.

لا يبدو حزب الله في وارد القبول باحتمال من هذا النوع. فالفراغ ليس «آخر الدنيا» وسبق حصوله أكثر من مرة

(هيثم الموسوي)

في المقابل، يدرك الحزب - كما خصومه - أن ترويج التيار لهذا المشهد المستجد بعد 31 تشرين، يعني في خلفيته استدراج عروض ممن يملكون مفتاح القرار الحكومي من دون الرئاسي، على اعتبار أن لا إفراج قريباً عن ملف الرئاسة. وهنا تكمن مفارقة التيار الذي يسعى إلى تعويم تأليف الحكومة بقدر أكبر من الأهمية بما يطغى على انتخابات الرئاسة. وهو في توجيهه رسائل بالجملة إلى خصومه، ولا سيما المسيحيين، يعطي للفراغ الرئاسي وبقاء عون في بعبدا مرتبة متقدمة على محاولة الاتفاق موضوعياً على رئيس للجمهورية، وفرض انتخابات الرئاسة، لصالح الكلام عن تشكيل الحكومة. وهنا، يبرز الفرق بين مقاربة التيار وحزب الله للانتخابات والفراغ الرئاسي.

فإذا كان التيار يحتكم إلى الدستور في الاجتهادات حول خطوات تدرس لتعليل بقاء رئيس الجمهورية في موقعه، فإن الدستور نفسه بعدم ذهابه إلى إعطاء بدائل للفراغ الرئاسي إنما يضع الانتخابات في مرتبة الضرورة الحتمية، ويعطي مهلة شهرين لإنجازها. والاختباء خلف «مسيحية» المركز الأول استنفد الوقت الذي كان يجب تخصيصه للاتفاق على رئيس، في حين أن الانشغال الأساسي تمحور حتى الآن في تعزيز حصص رئيس الجمهورية والتيار في حكومة إدارة الفراغ. أما الحزب فانشغاله في مكان آخر، لا الحكومة أولوية إلا بقدر ما يمكن أن تخلق مساحة تهدئة بدل بؤر التوتر التي يخلقها الفراغ، ولا رئاسة الجمهورية تشغله إلى حد أنه لا يزال، قبل شهرين من موعدها، من دون أي مرشح رئاسي يخوض به مع بدء المهلة الدستورية معركة الانتخابات. لذا سيعطي الأولوية من الآن وصاعداً للحكومة وسيخوض مجدداً مع التيار معركة الأحجام والحصص، كي يسحب تدريجاً موضوع ما بعد 31 تشرين الأول من التداول.

تقرير

السنيورة يُفتي للمفتي: أمسك «قرار الطائفة»

عبد الله قمح

تدرس دار الفتوى «مشاريع أفكار» لسد «الفراغ السياسي» لدى الطائفة السنية. من بين الاقتراحات، عودة دار الإفتاء للجمع بين الموقعين الروحي والسياسي، بغطاء من النواب وبعض المرجعيات السُنّية كرئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي الذي وُضع في صورة التحضيرات، فيما لا تبدو واضحة بصمات الرئيس السابق للحكومة فؤاد السنيورة ومن خلفه الإدارة السعودية في الحراك الجاري.

تحت عنوان «طلب العون»، بادر النائبان وليد البعريني وبلال الحشيمي، الأسبوع الماضي، بزيارة دار الفتوى. قبلهما وبعدهما زار عائشة بكار عدد من النواب لدعوتها الى التدخل من أجل توحيد الطائفة «سياسياً». أطلع البعريني والحشيمي المفتي عبد اللطيف دريان على أفكارهما حيال «تنظيم العمل السياسي» نتيجة الخلل الناتج من ضياع «مركزية المرجعية». وطرحا مجموعة أفكار، منها أن تصبح عائشة بكار مركزاً لقرار الطائفة السياسي.

بحسب مصادر، تبدو الدار مستأنسة للفكرة تماماً، بدليل انكبابها على مناقشة مجموعة من الاقتراحات والتصورات لعرضها على نواب يفترض أن توجّه دعوات إليهم للحضور بشكل منفرد إلى عائشة بكار، لمناقشتهم والاستماع إلى ما لديهم من أفكار، لتضمينها في «ورقة لقاء سياسي نيابي سني إنقاذي» تعمل الدار على إنجاز تحضيرات الدعوة إليه قريباً.

وستكون إحدى مهام المؤتمر إنشاء «إطار تنسيقي» بين النواب السنّة للخروج بمواقف موحدة حيال الاستحقاقات الأساسية، كانتخابات رئاسة الجمهورية وتأليف الحكومة الجديدة، وإعادة تنظيم «التشتّت السياسي السني»، والخروج بورقة عمل سياسية عامة تتضمن رؤى وحلولاً للمرحلة.

فكرة «توحيد» النواب السنّة ضمن إطار صريح ليست جديدة. أحدث «مبادرة» تولّى تسويقها النائب إيهاب مطر بعدما نال بركة دار الفتوى. غير أنه لم يكتب لحركته النجاح. فقبل إنجاز جدول المواعيد مع باقي النواب السنّة، «طار» مطر إلى أوستراليا! وقبل ذلك، كانت مجموعة نيابية سُنّية ذات توجهات مناطقية تلتقي للتنسيق في ما بينها «على القطعة». كما جمع النائب نبيل بدر عدداً من النواب السنّة في عدة مناسبات كاستحقاق تسمية رئيس للحكومة. وفي ما بعد، تطورت الفكرة باتجاه «تشكيل إطار سني جماعي» يضم مجموعة من النواب. وبحسب المعلومات، أدت الاتصالات حتى الآن إلى جمع حوالي 9 نواب ضمن إطار تنسيقي يلتقي أعضاؤه دورياً، ويتألف من نواب «اكس مستقبل»، هم: أحمد الخير، وليد البعريني، محمد سليمان، عبد العزيز الصمد، بلال الحشيمي، نبيل بدر، ومعهم عماد الحوت، فيما النائب فؤاد مخزومي غير بعيد عن هذا الإطار. إذ استضاف في منزله أحد الاجتماعات، فيما اللقاء المقبل من المفترض أن يستضيفه الحشيمي في منزله بالبقاع بعد عودته من إسطنبول.

(هيثم الموسوي)
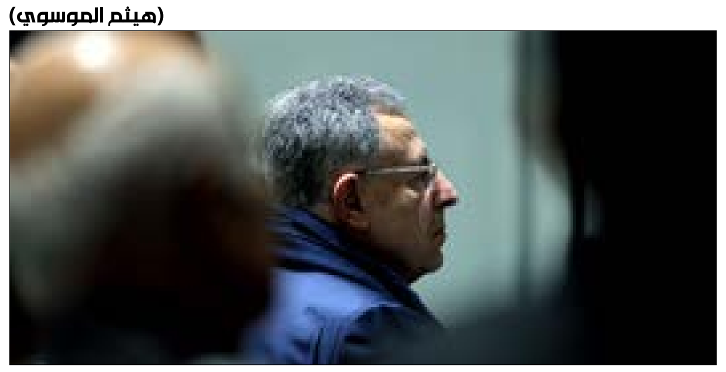

«الحركة السنية» الحالية لا يمكن عزل الرئيس السنيورة عن التأثير فيها. ووفق المعلومات، يُنسّق الحشيمي وزملاء له مع السنيورة بشكل دوري أفكاراً سياسية على صلة بالوضعية السنية، ويؤدّون دوراً في نقل أفكاره إلى دار الفتوى لتحفيزها على المبادرة والتحرّك. كما لا يمكن عزل السعودية عن هذا الحراك بصفتها مرجعية السنيورة السياسية، رغم «تحييدها» من جانب النواب السنّة المشتغلين على الملف. هذا الجو وصل إلى قيادة «تيار المستقبل» بشخص أمينها العام أحمد الحريري، الذي أبدى انزعاجه من حركة السنيورة الدائمة و«المشاغبة السياسية» التي يقوم بها، وخصوصاً بعدما ظن المستقبليون أنهم أخرجوه من «باب الانتخابات» فعاد ليدخل عليهم من «شبّاك» نواب مستقلين باتوا يُحسبون عليه.

متابعة

تبريد مبنى الأهراءات: عملية مبهمة

راجانا حمية

لليوم الثاني على التوالي، يواصل فوج إطفاء بيروت، ووزارة البيئة، العمل على تبريد الجهة الشمالية من مبنى الأهراءات في مرفأ بيروت. لا تقديرات للوقت الذي قد يستغرقه العمل على إنجاز هذه المهمة، فعلى الرغم مما قيل سابقاً عن إمكانية إتمام أعمال التبريد في غضون خمسة أيام، إلا أنّ العمل على الأرض خلط كل الأوراق. هذا ما بدا واضحاً لعناصر الفوج الذين يتولون اليوم إدارة عملية «مبهمة»، بحسب الملازم أول في الفوج، علي نجم.

بالنسبة إلى نجم، المهمة صعبة لكنها ليست مستحيلة. ما يحدث على الأرض لا يشبه بأيّ شكل من الأشكال ما يجري من مداولات في المكاتب أو ما قد يظنه الناس، فعملية التبريد «مش تكبّ ميّ وتمشي»، وإنما فيها من التعقيد ما يكفي، إذ إن العمل فيها يتطلب توافر عناصر ثلاثة: «تأمين سلامة العناصر والآليات والمنطقة التي سنقف عليها». وهذا مردّه إلى أن «المكان هناك أشبه بالحمم البركانية».

درجة حرارة 400

يشبه هذا التوصيف ما كان قد ساقه مستشار وزير البيئة ورئيس اللجنة العلمية لمعالجة الحبوب في مرفأ بيروت، الدكتور محمد أبيض الذي لفت إلى أن «درجة الحرارة في بعض الأماكن عند الجهة الشمالية تصل إلى حدود 400 درجة مئوية». والخوف مما يحدث تحت الركام، حيث تتكدّس الحبوب «المجفرة»، والتي تصل في بعض الأماكن إلى «ستة أمتار وما يزيد من العمق»، والتي قد تشتعل في لحظة حظّ عاثر قد يصل فيها الأوكسجين إليها. من هنا، تتطلب عملية التبريد، بحسب أبيض، العمل بشكل متوازٍ «تبريداً وتقليباً»، بحيث يمكن الوصول شيئاً فشيئاً إلى الحبوب.

وإذ تتولى وزارة البيئة الشق المتعلق برفع الردميات، يعمل الفوج بالتوازي على التبريد عبر سحب المياه من البحر من خلال «شفاطات المياه ومنها إلى الآليات»، يقول نجم، لافتاً إلى أنه في اليوم الأول من العمل «احتجنا إلى3 آلاف ليتر من المياه».

20 الف طن ردميات

وعلى خط سحب الردميات، يشير أبيض إلى أن الوزارة بدأت العمل على سحب «الأحجار والردميات الكبيرة إلى موقع قريب من الجهة الشمالية للعمل على تكسيرها وفصلها عن

> الحديث عن التدعيم كلام في الهواء قبل معرفة الوضع الإنشائي للمبنى

التي خلّفها الانفجار». وهي كميات يُعوّل عليها، إذ يبلغ حجمها ما يزيد عن «20 الف طن من الردميات»، وتحتاج بالتالي «إلى الوقت وإلى الحديد»، في انتظار تقرير مصيرها، «ما إن كانت ستؤخذ إلى مكان آخر، أو إبقاؤها في مكانها لنرى إن كان ممكناً الاستفادة منها في ردم الحفرة

لا يمكن الحسم بموعد انتهاء عملية التبريد (الأخبار)

الهائلة التي خلّفها انفجار المرفأ في آب 2020.

كتاب "الأشغال العامة"

على الخط الآخر، وفي إطار النقاش الدائر حول إمكانية تدعيم الجهة الجنوبية من مبنى أهراءات مرفأ بيروت، أحالت وزارة الأشغال العامة والنقل نفسها كتاباً إلى شركة «خطيب وعلمي» تطلب بموجبه إفادتها بتقييم شامل للوضع الإنشائي للأهراءات في المرفأ «لتتمكن من اتخاذ الإجراءات والتدابير المناسبة ولا سيما لناحية ما تبقّى من الأهراءات وخصوصاً الجنوبية منها». وبموجب الكتاب، طلبت الوزارة من الشركة تزويدها بتقرير تفصيلي يتضمّن معلومات عن «الوضع الإنشائي للأساسات، والوضع الإنشائي للأوتاد، والوضع الإنشائي للأهراءات الجنوبية وانحرافها الحالي والتقدير التقريبي لزيادة هذا الانحراف مع الوقت، إضافة إلى تقييم مدى ثبات واتّزان هيكل الأهراءات الجنوبية وإمكانية تدعيمها وحفظها من الانهيار في المستقبل».

التدعيم غير محسوم

في السياق نفسه، تشير مصادر وزارة الأشغال إلى أن «الحديث عن التدعيم اليوم كلام في الهواء قبل إعداد التقارير المفصلة لمعرفة الوضع الإنشائي لما تبقّى من المبنى». وعليه، أيّ حديث عن إمكانية تدعيم قبل صدور التقرير هو «محض شعبوي». ومن هنا، وبانتظار أن يصبح «الفول في المكيول»، تشير المصادر إلى أنه «ليس صحيحاً أنه تقرّر الإبقاء على الصوامع، والقرار الرسمي إلى الآن هو قرار مجلس الوزراء الصادر في نيسان الماضي والقاضي بهدم الأهراءات، أما كتاب التكليف من رئيس مجلس الوزراء فقد كان واضحاً ما يتضمّنه وهو العمل على مراجعة تقرير هدم مبنى الأهراءات والإفادة على الإجراءات الواجبة للإبقاء على الصوامع الجنوبية لمبنى أهراءات القمح والمحافظة عليه كمعلم تاريخي (...) مع ما يستتبع ذلك من تعديل لقرارات مجلس الوزراء ذات الصلة».

تقرير

المغتربون يبيعون والمقيمون مفلسون

دانيا الأمين

تنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي عروض بيع كثيرة لأراضٍ ومنازل وفيلات في القرى الجنوبية الحدودية بأسعار مغرية ومغرية، منها "قبلا من طابقين مع دونمَيْ أرض في قضاء بنت جبيل بثمن يقلّ عن 100 ألف دولار، قطعة أرض من 7 دونمات في قضاء مرجعيون على طريق معبّدة بثمن 49 ألف دولار أميركي".

إعلانان لافتان بما أنّ "بناء منزل من طبقة واحدة بمساحة 190 متراً يكلّف ما يقارب الـ100 ألف دولار أميركي، بسبب ارتفاع أجرة العمال وأسعار مواد البناء" بحسب الخبير العقاري ومتعهّد البناء أحمد سويدان. لكنه يعيد تدني أسعار العقارات "إلى أن معدل دخل غالبية اللبنانيين المقيمين في المنطقة لا يزيد على 400 دولار، وهذه المداخيل لا تمكّن أصحابها من شراء العقارات أو بناء المنازل".

ويلفت سويدان إلى "تراجع المغتربين عن استثمار أموالهم ومدّخراتهم في لبنان، بسبب الخوف من أزمات أخرى تبتلع ما تم استثماره، وهؤلاء بدأوا فعلاً بعرض عقاراتهم للبيع لاستثمار ثمنها في الخارج".

"التوبة ما بقا عيدا"

هذا ما يؤكد عليه محمد قوصان، ابن بلدة قرون، أحد المغتربين القادمين من أفريقيا، بقوله: "التوبة ما بقا عيدا"، رافضاً لشراء أي عقار جديد، مبرّراً "لقد خسرنا أموالنا في البنوك، كما خسرنا قيمة عقاراتنا التي اشتريناها خلال سنوات الغربة". يرى قوصان أن الاستثمار في العقارات منعه من تطوير أعماله في الخارج، "على أمل أن نعود الى بلادنا، ونعتمد في معيشتنا على بدلات الإيجار، أو على الأرباح التي قد نحققها من بيع العقارات، لكن ما حصل أن الإيجارات تدنّت قيمتها كثيراً، فقد كان بدل ايجار شقة لي في صور بؤمن لي دخلاً يزيد عن 400 دولار شهرياً، وهو اليوم لا يؤمن 100 دولار". حتى الشقة المؤجرة نفسها "دفعت ثمنها 150 الف دولار أميركي، ولا يزيد ثمنها اليوم على 50 الف دولار". لذلك يعتقد أن "المغتربين توقفوا عن شراء الشقق والعقارات، وباتوا يفضلون استثمار مدخراتهم في تطوير أعمالهم في الخارج، وهذا ساهم وبساهم في تراجع أسعار العقارات في المنطقة".

خوف من الاستثمار

يلفت أحد سماسرة العقارات في بنت جبيل إلى وجود "تناقض كبير بين أسواق السلع والمواد الغذائية والشاليهات والمنتزهات، التي يتهافت عليها المغتربون، وبين سوق العقارات. فالأخير جامد، رغم حركة المغتربين الكثيفة هذا الصيف. هؤلاء يبدون راغبين فقط بالاستجمام والتسوّق، وليس بالاستثمار". ويشير الى أن "معدل سعر دونم الأرض في قرى بنت جبيل منخفض اليوم عن ما كان

> يفضّل المغتربون استثمار مدّخراتهم في تطوير أعمالهم في الخارج

عليه قبل الأزمة بنسبة 40% تقريباً، وهذا ما يفسّر خوف المغتربين من الاستثمار مجدداً في العقارات".

ويؤكد على ذلك المغترب وصاف العلي عندما يشير الى أنه اشترى قبل الأزمة ثلاثة محالّ تجارية بسعر يزيد على 100 ألف دولار، بهدف استثمارها من خلال تأجيرها، "لكن أجرة المحل الواحد اليوم لا تزيد على 100 دولار، وعندما قرّرت بيعها لم أجد من يشتري بنصف القيمة".

ويرى أن "المقيمين لا يستطيعون شراء العقارات، باستثناء قلّة، كل طموح الشباب هو السفر، ومن هاجر منهم الى دول أفريقيا والخليج العربي وغيرهما، يعمل بأجر لا يمكنه من ادّخار الأموال وشراء العقارات".

تراجع ورش البناء

في بلدة برعشيت التي لا يقيم فيها أكثر من ألف نسمة، ويزيد عدد مغتربيها على 5000 نسمة، يُعدّ سوق العقارات متوقفاً بالكامل، حتى إن "عدد ورش البناء انخفض بنسبة 70%، ومن يرغب في بيع الأراضي هم المغتربون أنفسهم، لكن بأسعار لا يقدر على دفعها المقيمون، رغم انخفاضها عن ما كانت عليه سابقاً قبل الأزمة". بحسب ابن البلدة أبو علي فرحات. يؤكد الرجل أن "معظم منازل البلدة فارغة، وتوجد اراض كثيرة يملكها المغتربون معروضة للبيع، لكن لا قدرة للمقيمين على شرائها، لأنهم أصلاً يعتمدون في معيشتهم على ما يرسله المغتربون".

وفي بلدة شقراء المجاورة، انخفض سعر دونم الأرض من 35 ألف دولار إلى 20 الف دولار، رغم أن البلدة تعتمد على المغتربين والتجارة. لذلك فإن ورش البناء ترتفع غموديا في الأحياء السكنية".

البلدة إلى أن "بعض عقارات المغتربين تُعرض للبيع بهدف استثمار أموالها في الخارج، بعدما كان المغتربون يستثمرون في شراء العقارات".

وفي عدد من قرى وبلدات مرجعيون وصل معدل ثمن دونم الأرض إلى 10 آلاف دولار أميركي، في الوقت الذي شهدت فيه المنطقة تهافتاً على بناء الشاليهات وأماكن الترفيه الخاصة. فقد وصل عدد الشاليهات التي تم تشييدها في المنطقة إلى ما يزيد عن 150 شالياً، رغم أن المنطقة قبل الأزمة كانت خالية تقريباً من الشاليهات السياحية، بحسب صاحب أحد الشاليهات في بلدة الخيام حسن عبدالله. ويرى أن "انخفاض أسعار العقارات، وخوف المغتربين من الاستثمار مجدداً في لبنان، سمحا للميسورين من المقيمين بالاستثمار في بناء المواقع السياحية المتواضعة لخدمة المصطافين". ويلفت الى أن "من بين أهم أسباب انخفاض أسعار الأراضي في المنطقة عدم قدرة البلديات ووزارة الأشغال على شق الطرقات العامة وتعبيدها، ما جعل الأراضي غير المبنية والتي بمعظمها باتت بعيدة عن الطرقات المعبّدة، خارج حسابات الراغبين في البناء. لذلك فإن ورش البناء ترتفع غموديا في الأحياء السكنية".

بلديات

بعلبك - الهرمل: الاستدانة أبرز الإنجازات

يصف أحدهم بلدية قريته بالـ"ميتة". معدّداً المشاكل التي تعيشها، فينسحب الوصف على غالبية بلديات محافظة بعلبك الهرمل. الكبيرة منها والصغيرة، كنتيجة حتمية لحالة الإفلاس التي تعانيها وغياب المشاريع الخدماتية. وفي ظلّ تراجع كامل في خدمات وزارات الدولة وإداراتها. ملقية بالعبء على المجالس المحلية

رامح حمية

حين تقف السلطة المحلية مكتوفة الأيدي أمام المشاكل التي يواجهها المواطنون، من عدم القدرة على رفع النفايات أو العجز عن تأمين المياه أو مواجهة مافيا المولدات الكهربائية، فبالتأكيد ستنهال على رئيس المجلس البلدي وأعضائه الاتهامات والإهانات. لكن ما لا يعرفه المواطن الغاضب أن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على السلطة السياسية التي لم تدفع لصناديق البلديات مستحقاتها المالية المترتّبة لها عن أعوام 2020-2021-2022، عدا إمعانها في استنزاف مالية البلديات منذ ما قبل جائحة كورونا، بإلقاء أعباء إضافية عليها نتيجة تقاعس الوزارات والإدارات العامة عن القيام بواجباتها من صحية وأمنية واجتماعية واقتصادية.

تمنين الفوقا: وزارات بديلة

يشرح رئيس بلدية تمنين الفوقا حسين جانبين أن الدولة، بوزاراتها، تخلّت عن مسؤولياتها المالية والخدماتية وتركت البلديات التي أفلستها في مواجهة الناس، علماً «أننا كبلديات لا نقوم مقام مؤسسات الدولة ولا علاقة لنا بتلك الخدمات». ويعدّد أمثلة منها أن «الوزارات تطلب منا مواجهة عمليات السرقة التي تطاول الأملاك العامة والخاصة كبديل عن الأجهزة الأمنية التي تتخلّف عن تأدية مهامها لعدم وجود الآليات أو بنزين أو عديد، كما وتوكل إلينا مهمة إجراء تصليحات كبديل عن مؤسسة مياه البقاع المعنية بذلك، أو في شركة الكهرباء التي تُسرق أسلاكها عندما تسلّم رئاستها منذ شهرين «بقارب 300 مليون ليرة فقط، وهذا المبلغ لا يكفي رواتب ومخصصات الموظفين السبعة عشر في البلدية (25 مليون ليرة شهرياً) بالإضافة إلى أعباء المحروقات الخاصة بالآبار البلدية».

عرسال: استقالات بالجملة

الامتعاض من أداء المجالس البلدية لا يقتصر على الأهالي فقط، وإنما بات داخل المجالس البلدية نفسها. فمع تقليص الخدمات والمشاريع ارتفع منسوب الخلافات داخل البلديات، لتصل إلى حدّ استقالة أعضاء وحلّ مجالس بلدية، عدا مقاطعة أعضاء لجلسات المجلس البلدي.

في بلدية عرسال استقال ستة أعضاء عام 2019 «احتجاجاً على الهدر والفساد من قبل رئيس البلدية». ومنذ أسبوعين تقريباً تقدّمت ربما كرنبي باستقالتها الخطية إلى المحافظ بشير خضر، ليتقدّم بعدها ومنذ أيام قليلة ستة أعضاء بكتب استقالة خطية أيضاً، علماً أن الذين تقدّموا باستقالاتهم تقتل البلدية أبوابها خلال الأسابيع القليلة المقبلة «لتعذّر تأمين رواتب الموظفين والعمال، وأبسط الخدمات الأساسية للأهالي». بحسب القرّح فإن رصيد حساب البلدية منذ شهرين «يقارب 300 مليون ليرة فقط، وهذا المبلغ لا يكفي رواتب ومخصصات الموظفين السبعة عشر في البلدية (25 مليون ليرة شهرياً) بالإضافة إلى أعباء المحروقات الخاصة بالآبار البلدية».

من الانتخابات البلدية الأخيرة (هيثم الموسوي)

شبكتي الصرف الصحي والمياه اليومية، وقد وصلنا إلى مرحلة الاستدانة منذ ثلاثة أشهر». يكشف بلوق أن البلدية كانت مدينونة بمليار و300 مليون ليرة رصيد حساب البلدية منذ شهرين «يقارب 300 مليون ليرة فقط، وهذا المبلغ لا يكفي رواتب ومخصصات الموظفين السبعة عشر في البلدية (25 مليون ليرة شهرياً) بالإضافة إلى أعباء المحروقات الخاصة بالآبار البلدية».

تواجه بلدية بعلبك أزمة مالية حقيقية، فقد نفّذ عمالها وموظفوها اعتصامات عدة مطالبين برواتبهم، رافعين صوت معاناتهم. لا ينكر بلوق الصعوبات الكثيرة التي يواجهها «ولولا حزب الله ومساندته لنا بتأمين المازوت والرواتب للعمال لما كانت لدينا القدرة على تأمين الخدمات لأهلنا».

دير الأحمر: اقفال الباب

لا يختلف الوضع في بلدية دير الأحمر، التي تقارب موازنتها الثلاثة مليارات ليرة. هي تعاني شحّاً في المشاريع الخدماتية أيضاً، رغم تولي اتحاد بلديات دير الأحمر مهمة رفع النفايات ونقلها، وبالتالي إزاحة تكاليفها عن كاهل ميزانية البلدية. يخشى رئيس بلدية دير الأحمر لطيف القرّح من أن

> لم تتقاضَ مستحقّاتها منذ عام 2020 وتُطلب منها مهامّ تفوق إمكاناتها

يُعتبرون من فريق رئيس البلدية.

يقول رئيس بلدية عرسال باسل الحجيري إنه «رغم من أن موازنة بلدية عرسال هي مليارا ليرة، لم نتقاعس يوماً عن خدمة أهلنا، ولا نزال نواصل خدماتنا ودفع رواتب الموظفين ولم نصل بعد إلى مرحلة الاستدانة، وفي صندوق البلدية لا يزال هناك مبلغ عبارة عن راتب شهرين أو أكثر قليلاً للموظفين والعمال، في حين أن رفع النفايات توقف منذ توقّف العمل في المجلس البلدي نتيجة الاستقالات». ويرى الحجيري أن «من تقدّموا باستقالاتهم «سيعودون عنها لأن همّنا أن يبقى المجلس ويواصل تقديم خدماته لأهله وناسه».

وبعدّد الحجيري إنجازات البلدية «رغم كلّ شيء، قمنا بشقّ الطرق الزراعية داخل البلدة وتعبيدها، وزدنا عدد محوّلات الكهرباء من 40 إلى 70 مع الأعمدة، بالإضافة إلى تأمين الطاقة الشمسية لآبار المياه في البلدة، ودفع تكاليف إيجار مدرستين رسميتين لمدة سنتين، وإدارة مستوصف صحي ودفع تكاليف العجز فيه، مع تأمين سيارة فان لنقل مرضى الكلى إلى مستشفيات بعلبك، وافتتاح مكاتب لوزارتي الشؤون الاجتماعية والزراعة مع تأدية المتطلبات والتكاليف المالية والعينية لفريق الدفاع المدني وقوى الأمن الداخلي وحواجز الجيش والمدارس».

رأس بعلبك: استقالة وعودة عنها

ليس بعيداً عن عرسال وعلى مرمى حجر منها تترامى بلدة رأس بعلبك. تعاني البلدة أيضاً من خلافات بين أعضاء المجلس البلدي، أسفرت بداية عن استقالة 4 أعضاء، ومن ثم اعتكاف آخرين، كما يؤكد رئيس بلديتها منعم مهنا الذي تقدم بدوره بالاستقالة أيضاً منذ فترة قريبة، وعاد عنها بعد لقائه المحافظ. يعزو مهنا استقالته إلى الديون التي «زادت عن حدّها ووصلت الديون إلى حافة المليار ليرة، فقد تسلّمت ولايتي في عام 2019 وفي ذمة البلدية ديون بقيمة 372 مليون ليرة. صيانة المياه اليومية كلفتها تراوح ما بين 50 إلى 100 دولار، وهذا مبلغ كسر ظهري مع نقل النفايات، فيما الدولة غائبة كلياً منذ عام 2019». وعلى الرغم من كل ذلك استطاع مهنا «الشحادة» من جمعيات مختلفة أن ينجز 32 مشروعاً حيوياً للبلدة منها الطاقة الشمسية لثلاث آبار مياه تغذي البلدة، وثلاثة خزانات مياه وتصليحات في شبكات الريّ بتأمين قساطل من حي السيدة إلى الحصين، «ورغم هذا كلّه ما حدا رحمام منّية».

شمسطار: وفر في الصندوق

بخلاف كلّ البلديات أعلاه، حقّقت بلدية شمسطار والتي تتبع لها إدارياً بلدات كفرديش، بيت الصليبي، النبي رشادة، وفراً في صندوقها بقيمة مليارَي ليرة مع رصيد كاف لمدة عام لدفع رواتب الموظفين والعمال (12 موظفاً و15 أجيراً ومياوماً) بالإضافة إلى دفع المساعدات المرضية والاستشفائية لهم.

ويرى رئيس بلدية شمسطار سهيل شبلي الحاج حسن أن «الوفر المتحقق يعود إلى التنظيم والإدارة، والخطة التي اعتمدتها منذ ولايتي الأولى في عام 2010، والتي أرسم فيها أولويات البلدة في كلّ عام، وطبعاً من دون توقف الخدمات الأساسية من مياه ورفع نفايات ورواتب موظفين، إذ لا يمكن تنفيذ مشاريع تعبيد طرقات وجدران دعم فيما الموظفون وعائلاتهم يعانون»، لكنه يلفت إلى حصوله على دعم من «حزب الله الذي رفع العبء المالي الخاص بالمازوت وآبار المياه في البلدة وتكلفتها التي تزيد على 800 مليون ليرة شهرياً».

تسلّم الحاج حسن المجلس البلدي في عام 2010 يعجز في صندوقه البلدي بقيمة 500 مليون ليرة، في حين عاد وانتُخب في عام 2016 لولاية ثانية وحقّق وفراً في الصندوق بقيمة 4 مليارات ليرة «ونحن شفافون جداً إذ ننشر موازنتنا كل ثلاثة أعوام في المجلة الدورية للبلدية ونضعها بين أيدي أبناء البلدة ليكونوا الحكم».

تحويل الأموال مطلب وجودي

مطلع الشهر الجاري، تداعى رؤساء اتحادات وبلديات بعلبك الهرمل إلى اجتماع طارئ في مبنى اتحاد بلديات بعلبك للبحث بما آلت إليه أوضاع البلديات. وطالب المجتمعون بتحويل الأموال المترتبة للبلديات واتحادات البلديات من الصندوق البلدي المستقل عن أعوام 2020-2021-2022 وتحويل مستحقات البلديات من عائدات الهاتف الخلوي والثابت وعائدات اشتراكات المياه والكهرباء المترتبة لها بدءاً من عام 2019 وحتى عام 2022، وعدم تجزئة هذه المستحقات تحت أي ظرف أو سبب. كما طالبوا بإعطاء البلديات سلفة خزينة شهرية لدفع المساعدة الاجتماعية المؤقتة لعمّال وموظفي البلديات عن شهرَيْ تشرين الثاني وكانون الأول من عام 2021، وعن الأشهر السبعة المنصرمة من العام الحالي وحتى نهاية عام 2022، ولكي تتمكن من دفع بدل النقل الجديد، أسوة بالسلفة التي وقّعها رئيس الجمهورية لدفع المساعدة عينها لموظفي ومستخدمي الإدارة العامة، كما والعمل على مضاعفة حصص البلديات من مستحقاتها.

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [5]

أسعد أبو خليل *

حديثنا هنا عن مذكّرات صائب سلام التي صدرت للتوّ في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة هامّة شارك هو في صنع بعضها.

ختمتُ مقالة العدد الماضي بالحديث عن زيارة صائب للسعوديّة ولقائه بالملك عبد العزيز الذي عبّر عن إيمانه بضرورة منع الإعلام في بلاده: المفارقة أن بلاده اليوم وحكومة الإمارات القمعيّة باتتا تمنحان جوائز الصحافة العربيّة كأنهما تصلحان لإصدار أحكام في المهنة. ويذكرُ صائب أنه «قبل مغادرتنا الرياض، قدّموا لنا هدايا ملكيّة، هي عبارة عن ساعات مرصّعة بالأحجار، لي ولكلّ عضو في الوفد، مع سجادتيْن وعباءة، إضافة إلى عدّة حقائب تحوي أقمشة حرير وعباءات» (ص. 241، ج 1). قد نسجّل بدء علاقة صائب الرسميّة مع المملكة في تلك الزيارة. لكنه يعترف أن الطيّارة الخاصّة التي أمدّ بها الملك الوفدَ اللبناني كانت «أقلّ مستوى» من الطائرة اللبنانيّة التي أقلّتهم إلى الرياض.

وصائب لا ينسجم في مواقفه من الأشخاص في المذكّرات. بعدما كان قد كالَ شتّى التهم ورمى رياض الصلح بأقذع العبارات والأوصاف، يعود ليرثيه ويشيد بـ«دهاء رياض الصلح» (ص. 229، ج 1) بعد أن كان قد سخر من صفة دهائه التي لم يستحقّها (ص. 141، ج 1). ويشكو، في ما سبق المرثيّة، من تطبيل الإعلام الفاسد للصلح. أمّا في رثائه، فيقول إن اغتياله «آلمني كثيراً» وإنه بكى «بكاءً مرّاً» ويزعم أن العلاقة بينهما كانت «على خير ما يرام» عند وفاته. وكان صائب يريد، صراحة، أن يحضرَ مأتم الصلح وأن يشارك في تكريمه لكنّ طبيبه الخاص أصرّ على ضرورة خلوده «للراحة التامّة» بعد وعكة صحيّة ألمّت به نتيجة الإرهاق «الشديد».

ويتحدّث صائب عن زيارة له لإيران في عام 1953، ويرسم لنا صورة غير معروفة عن محمد مصدّق، الذي أقصته المخابرات الأميركيّة عن الحكم في نفس العام من أجل الحفاظ على نظام الشاه. يقول سلام إنه قصد قصراً يقطن فيه مصدّق لكن بعد طول انتظار اصطحبهم ابن مصدّق إلى غرفة صغيرة متواضعة «تحتوي على سرير حديدي صغير وبضعة مقاعد، وكان قد انتزع ملابسه المدنيّة وارتدى ثياب النوم» (ص. 244، ج 1). ويقول صائب إن المشهد، خصوصاً بعد إدخال المصوّرين إلى الغرفة في القصر، كان تمثيليّة صمّمها مصدّق كي يضفي صفة التواضع والزهد على شخصه وحكمه آنذاك. والذي يرى الصورة الفوتوغرافية التي تجمع بين مصدّق وسلام لا يستطيع إلا أن يوافق صائب على صفة المشهديّة المصطنعة.

وبعد خلاف مستحكم مع كميل شمعون، يؤلّف صائب الحكومة في عام 1953. ويذكر صائب أنها كانت تضمّ بين الوزراء محي الدين نصولي، الذي كان خصماً له ولأبيه لكنه—بصفته رئيساً للحكومة تلك—يرفض تحمّل مسؤوليّة تسمية أعضائها، بمن فيهم النصولي ويلقي باللائمة على أخيه محمد إذ يقول: «أما محي الدين نصولي فيعود أمر توزيره إلى شقيقي محمد على الرغم من أنه كان خصماً علنياً لي، وهو صاحب جريدة "بيروت"، أهم صحف بيروت العاصمة آنذاك، كما كان يتجنّى على والدي من قبل بقباحة غير مقبولة» (ص. 246، ج 1). لكن ما شأن أخيه محمد في تعيين الوزراء، وإذا كان محي الدين النصولي على هذه الدرجة من القباحة فلماذا قبلَ صائب بتوزيره، وهو كان قد ذمّه من قبل؟ لكن هو يعترف أنه هو وزّره إذ يقول: «ورغم توزيري إياه وإعطائه حقيبتي العدل والإعلام». أي أنه وزّره وقبل بمنحه وزارتيْن أساسيّتيْن (في حينه على الأقلّ إذ إن الوزارات باتت تُصنّف اليوم بناءً على قدرة الوزير على السرقة من مغانمها وجرّ مشاريعها إلى عائلته). (لا ينصفُ صائب شقيقه محمد إلا في جملة واحدة في الأجزاء الثلاثة في الكتاب عندما يعترف بأن محمد بذل «الجهد والتعب لتسيير شؤون جمعيّة المقاصد والسعي لتطويرها»، ص. 213، ج 1).

ويقول صائب إن الملك سعود ارتأى أن يخلف هو الحاج حسين العويني في منصب مُوزّع المكافآت (الرشاوى) السعوديّة الماليّة في لبنان، إذ يقول: «أرسل لي (أي سعود) سفيره في سوريا... عارضاً عليّ رغبة الملك في أن أتولّى مهمّة المكافآت التي تُصرف على الصحافيّين وغيرهم، والتي كان مكلّفاً بها حسين العويني» (هناك مقالة بالإنكليزيّة لفواز طرابلسي عن حسين العويني، راجع فواز طرابلسي، «التوسّع السعودي: الصلة اللبنانيّة، 1924-1952»، في مضاوي الرشيد، تحرير، «مملكة من دون حدود: الآفاق السعوديّة السياسية والدينيّة والإعلاميّة». وعقد طرابلسي المقارنة بين العويني وبين رفيق الحريري في جلسة في المؤتمر الذي حضرناه في لندن قبل سنوات، والذي تحوّلت أوراقه إلى فصول الكتاب). لكنّ صائب اعتذر عن المهمة ويقول، بشيء من الخبث، إنه أحال السفير على نقيب الصحافة، عفيف الطيبي (ص. 248)، ولم يكن الطيبي معروفاً بنزاهته أو بتعفّفه عن تمويل السفارات.

يروي صائب أن عبد الناصر أخبر عبدالله اليافي (وكان الأوّل وزيراً في حكومة الثاني في عام 1956) «نحن نراقب بسعادة ودقّة تصرّفات صائب سلام» (ص. 270، ج 1). وهنا يصبح سلام معتداً بأقوال اليافي الذي يقوله إنه كان يدافع عن حكومته لأنه كان يضطرب عندما تتعرّض الحكومة لهجومات في المجلس. لكن مديح عبد الناصر لم يكن عابراً، كما يكتشف صائب. يضيف صائب أن حملته ضد شركات البترول (أي حملة؟) ألهمت عبد الناصر وأنه «راقب المعركة ليستفيد من تطوّراتها ومن ردود الفعل عليها في معركته المقبلة مع إنكلترا» (ص. 270، ج 1). لكن لا يذكر أيّ من مراجع الثورة المصريّة أو الدراسات عن الظاهرة الناصريّة أو أي من الكتب عن معركة السويس أن صائب سلام، الزعيم البيروتي، ألهمَ عبد الناصر في معركته ضد تحالف ثلاثي جهنّمي. ويقول صائب إن شركات النفط تجنّدت للعمل ضدّه وإنها أغدقت المال على أصحاب الصحف للهجوم على صائب. ويقول إن جريدة «الحياة» أفردت صفحتيْن كاملتيْن لنقل وجهة نظر شركة «إي.بي.سي» البريطانيّة. وحاول مدير الشركة المذكورة رشوة صائب سلام لكنه في الاجتماع معه أفهمه أن «أسلوبه في شراء الضمائر لا يجديه نفعاً مع صائب سلام» لكنه يضيف بلطف أنه سعى «إلى الاتفاق الودّي دون التورّط في أي مشاكل» (ص. 271، ج 1). لكن كيف تقول إنك ألهمتَ عبد الناصر؟ عبد الناصر لم يكن يريد التورّط في أي مشاكل وهو الذي تصدّى لعدوان ثلاثي بسبب تأميم القناة؟ أين معركتك في بيروت—مهما كانت شرسة—من معركة عبد الناصر ضد العالم الغربي وإسرائيل وأنظمة الخليج؟

ويحدّثنا صائب عن لقاء غير معروف له مع أنطون سعادة، ووجده «مثقّفاً ومتزناً وواعياً» (ص. 215، ج 1). ويقول إن سعادة نصح محازبيه بتأييد صائب في انتخابات 1947 ولاقى ذلك التقدير والاستحسان من قبل سلام. واعتبر سلام أن إعدام سعادة، والطريقة التي تمّ بها الإعدام، كانا «جريمة كبرى». ويختلف صائب مع رياض الصلح في النظرة إلى الحزب القومي، ويقول إن الصلح طلب منه اتخاذ موقف عدائي نحوه (يظنّ البعض أن عداء الحزب القومي للصلح كان من جانب واحد فقط). ويروي صائب كيف أن الصلح اعترض عندما عيّن صائب رجلاً محاسباً ذا كفاءة في شركة «طيران الشرق الأوسط» وأرسل إلى صائب قائلاً: «كيف توظّفه في الشركة وهو قومي»؟ وأجابه صائب أن الانتماء الحزبي لا يلغي الكفاءة.

وصائب، في حديثه عن السعوديّة في مذكّراته، هو غير صائب رجل السياسة الذي عاصرناه على مدى عقود طويلة: هو—كما قيل عن سعاد حسني عندما غنّت ورقصت للمرّة الأولى في فيلم «خلّي بالك من زوزو»—صائب كما لم نرَه من قبل. يتحدّث عن أمراء وملوك آل سعود من دون تملّق أو تبجيل أو تفخيم أو تقدير، لا بل هو يتحدّث بصراحة عن وعود منكوثة ومقاصد خبيثة ومراوغة وعن تقتير وأساليب غير محترمة في التعاطي. وفي سياق ما يصفه صائب بصراعه مع شركات النفط التي اشترت رجال سياسة وصحافة في لبنان، يزور صائب في عام 1956 المملكة السعوديّة للقاء الملك سعود وباقي الأمراء. وأعدَّ صائب لهم خطّة بتروليّة تفصيليّة للموافقة عليها (لكنه لم يشرح لنا عن مضمون الخطة) وطلب موافقة خطيّة من الملك لتلي موافقته الشفهيّة. وأولمَ عدد من أمراء آل سعود النافذين لصائب (لكنه لم يذكر في هذه الزيارة أخباراً عن أحجار كريمة وأقمشة نفيسة وسجّاد فاخر) وكان هناك عشاء وداعيّ عند الأمير فهد في «قصر العزيزيّة». لكنّ صائب يُفاجأ بعد أيّام فقط من عودته إلى بيروت أن السعوديّة تعارض مشروعه رسميّاً (ص. 272، ج 1). ويقول صائب: «ولم يكن تغيير الموقف السعودي ليكون لولا تدخّل الأميركان في هذا الموضوع». لم يكن ممكناً أن يتهم صائب في حياته السياسية وفي العلن النظام السعودي بتغيير موقفه تماشياً مع أوامر أميركيّة. لكن هذا صائب المذكّرات، وليس صائب رجل السياسة العلني. ويقول صائب إن شمعون، الذي كان حُكماً مؤيّداً لشركة «إي.بي.سي» البريطانية، اغتبط من المعارضة السعوديّة لمشروع صائب. ويقول صائب إن اليافي لم يكن يُؤازره في جلسات مجلس الوزراء بل كان يتركه وحيداً ليواجه شمعون. هنا يتحدّث صائب عن موضوع معروف لكن غير متداول في صحافة «الزمن الجميل» (المتخيّل) حيث رسمت جريدة «النهار» صورة ورديّة عن لبنان ما قبل الحرب، خصوصاً في عصر كميل شمعون الذي وُصف بعهد الازدهار، كأن تدفّق أموال التأميمات إلى لبنان كان نتيجة سياسات أو لمسة خاصة لشمعون. الموضوع هنا هو عن الفساد الشخصي لكميل شمعون. ومن فوائد هذه المذكرات أن صائب يميط اللثام عن الكثير من رؤساء لبنان، خصوصاً فؤاد شهاب وكميل شمعون، لأن هناك هالة أحيطت بهما عبر السنوات، وبجهد من أجهزة دعاية ناشطة. لا يزال بعض الشباب اللبناني يتحدّث عن مجد عهد شمعون، فيما كان الرجل مُشعلاً للحرب الأهليّة (مرتيْن) لمآرب شخصية وتعصّب طائفي وهو الذي تورّط في صفقات فساد في الرئاسة وبعدها مروراً بسنوات الحرب الأهليّة عندما شغل منصب وزير الداخليّة في مطلع الحرب. وبدأ الكلام غير الهامس عن فساد شمعون إثر الزلزال المُدمِّر في عام 1956. يقول صائب إنه قيل آنذاك بأن شمعون كان يحوِّل إلى حسابه الخاص ما كان يرد الدولة من تبرّعات لإغاثة المنكوبين. ويعترف صائب بأن شمعون قدّم له شيكاً خاصاً كي يقوم بما كان يقوم به شمعون لكن صائب سأله عن السبب فما كان من شمعون إلا أن أشار إليه بتأجيل الحديث إلى ما بعد جلسة مجلس الوزراء، لكن صائب رفض تلقي الشيك الذي اشتمّ فيه رائحة رشوة من شمعون له (ص. 273، ج 1). وفي موضوع ردم البحر آنذاك كان شمعون يحاول تمرير المشروع في مجلس الوزراء بالرغم من معارضة له من قبل صائب وآخرين. ويقول صائب: «وحاول شمعون في تلك القضيّة شراء سكوتي وموافقتي على ردم البحر بمبلغ مليوني ليرة، وذلك خلال احتدام النقاش في جلسة لمجلس الوزراء. وإذ كنتُ أجلس إلى جانبه، همس في أذني قائلاً: أحد أصحابك مستعد لدفع مليوني ليرة لتمرير هذا المشروع». وينسبُ صائب فضل رفض المشروع إلى نفسه (وردم البحر تحقّق في سنوات الحرب الأهليّة والإعمار).

هناك الكثير في المذكّرات عن علاقة صائب بالنظام الناصري وعن صداقته مع شخصيّات في الثورة المصريّة. وللإنصاف، فإن صائب خلال الحقبة الناصريّة—بالرغم من التصاقه بالسياسة السعوديّة على مستوى الإقليم وفي لبنان—كان ثابتاً في الإشادة بعبد الناصر بالرغم من اصطدامه مع سفيره في بيروت، عبد الحميد غالب. وكان صائب—مثله مثل المرشحين لرئاسة الحكومة في لبنان—يطيرون في اللحظة المناسبة إلى القاهرة لأخذ صورة مع عبد الناصر، وهناك صورة لعبد الناصر مع صائب وتمام الشاب (لم يكن صائب وحيداً في اصطحاب ابنه لأخذ صورة مع عبد الناصر وقد فعل ذلك كمال جنبلاط وغيره من زعماء لبنان). يقول صائب إن عبد الناصر كان «من أعظم رجال العصر، ولا يمكن إنكار مآثره». وحافظ صائب على علاقة مع المتمرّد صلاح سالم لكنه كان يعترف أمامه بأنه يؤيّد عبد الناصر «بصورة كاملة» (ص. 279، ج 1). وسلام على حق في أن الضباط الأحرار ابتعدوا أو أُبعدوا عن عبد الناصر عبر السنوات وهذا أثّر على استقرار النظام وأضعف من سلطة عبد الناصر. قد يكون ذلك وراء اختيار عبد الناصر للسادات نائباً له وهو الذي والاه من دون اعتراض أو خلاف. يقول صائب عن السادات إنه عرف كيف «ينظّم علاقاته مع رئيسه بمهارة الفلاح الماكر» (ص. 279، ج 1—عبارة «الفلاح الماكر» فيها تحقير للفلاحين). وصائب محق أن عبد الحكيم عامر هو وحده الذي عرف السلطة أيام عبد الناصر، والكتب التي تصدر حديثاً عن الثورة المصريّة تؤكّد مدى ضعف سلطة عبد الناصر، في الجيش وقوى الأمن قبل هزيمة 1967.

يرد في الكتاب اسم إبراهيم قليلات، زعيم ميليشيا «المرابطون» الذي لعب دوراً هاماً في بيروت الغربيّة خلال الحرب. وهو كان ظاهرة مدعومة وممولة من النظام الليبي ومن حركة «فتح» أيضاً. كان العداء بين قليلات وسلام قوياً وهو هجاه في الكتاب في الحقبة التي غطّت الحرب الأهليّة. لكن يعترف صائب في الكتاب أنه مسؤول عن خلق ظاهرة قليلات، وهي ظاهرة غير صحيّة في تاريخ الحركة الوطنيّة اللبنانيّة. وقد رافق مسيرة قليلات الكثير من الفساد، وحتى من الإجرام، ويقول صائب إنه صار من أصحاب الملايين «ويسكن في أوروبا متنقلاً بين مدنها ومنزله في إيطاليا قرب بحيرة "كومو"» (ص. 285، ج 1). ويوضّح صائب أن الصورة الشهيرة (والوحيدة) التي جمعت بين قليلات وعبد الناصر كانت بفضله وأنه كان واقفاً مع عبد الناصر في تلك الصورة، لكنّ قليلات عندما جعل من الصورة ملصقاً شهيراً اقتطع منها صورة صائب. يقول صائب إنه عرف قليلات عندما كان الأخير فتى يافعاً وإنه كان يكنّ له الإعجاب ويتودّد له وأصبح «من المقرّبين» لسلام. ويقول صائب إن زعامة الطريق الجديدة كانت معقودة لمحمود الدنا، لكن صائب أبعده بعد أن تقرّب الأوّل من فوزي الحصّ (الذي ناله الكثير من التشنيع في المذكّرات) ومن شمعون. ويقول صائب إن الضغط الشعبي عليه جعله (أي محمود الدنا) يضطرّ لمغادرة الطريق الجديدة واللجوء «إلى مصر لبضع سنوات». لكنّ الرواية لا تستقيم هنا: الرجل كان شمعونياً ثم اضطرّ تحت الضغط الشعبي أن يغادر طريق الجديدة فلم يجد من بلد يلجأ إليه إلا مصر التي كانت عاصمة معاداة الشمعونيّة؟ كيف هذه؟ وهذه—أي اختيار صائب لقليلات ودعمه—تتكرّر كثيراً في الكتاب: صائب ينسب فضل اختيار رجل أو وزير أو رئيس ثم يذمّه ويحمّله المسؤوليّة عن جرائم وآثام وفساد. لكن لماذا تختار هؤلاء الرجال، يا صائب؟

ملاحظة. ذكّرني المؤرّخ الفرنسي المختصّ في الشأن اللبناني، ستيفان مالزاغ، في الحديث عن سيَر رؤساء الحكومة في لبنان أن هناك سيرة للحاج حسين العويني. وكانت ابنة العويني، ندى، قد كلّفت روجيه جهشان، بكتابة «حسين العويني: خمسون عاماً من تاريخ لبنان والشرق الأوسط، 1920-1970» والذي صدر بالفرنسيّة في أوائل السبعينيّات، والسيرة هاغيوغرافيّة الطابع.

ملاحظة ثانية: أخطأتُ في حلقة سابقة عندما لم أعارض صائب عندما زعمَ أن انتخابات 1972 شهدت أول ترشيح لشيوعي فيما يظهر في مقالة نهاد حشيشو قبل أيّام في «الأخبار» (بعنوان «التدرّج التاريخي لهزائم اليسار اللبناني: الحزب الشيوعي... «القاطرة» نموذجاً») أن الشيوعيّين ترشّحوا في الانتخابات على مرّ عقود قبل انتخابات حكومة الشباب في عام 1972.

(يتبع)

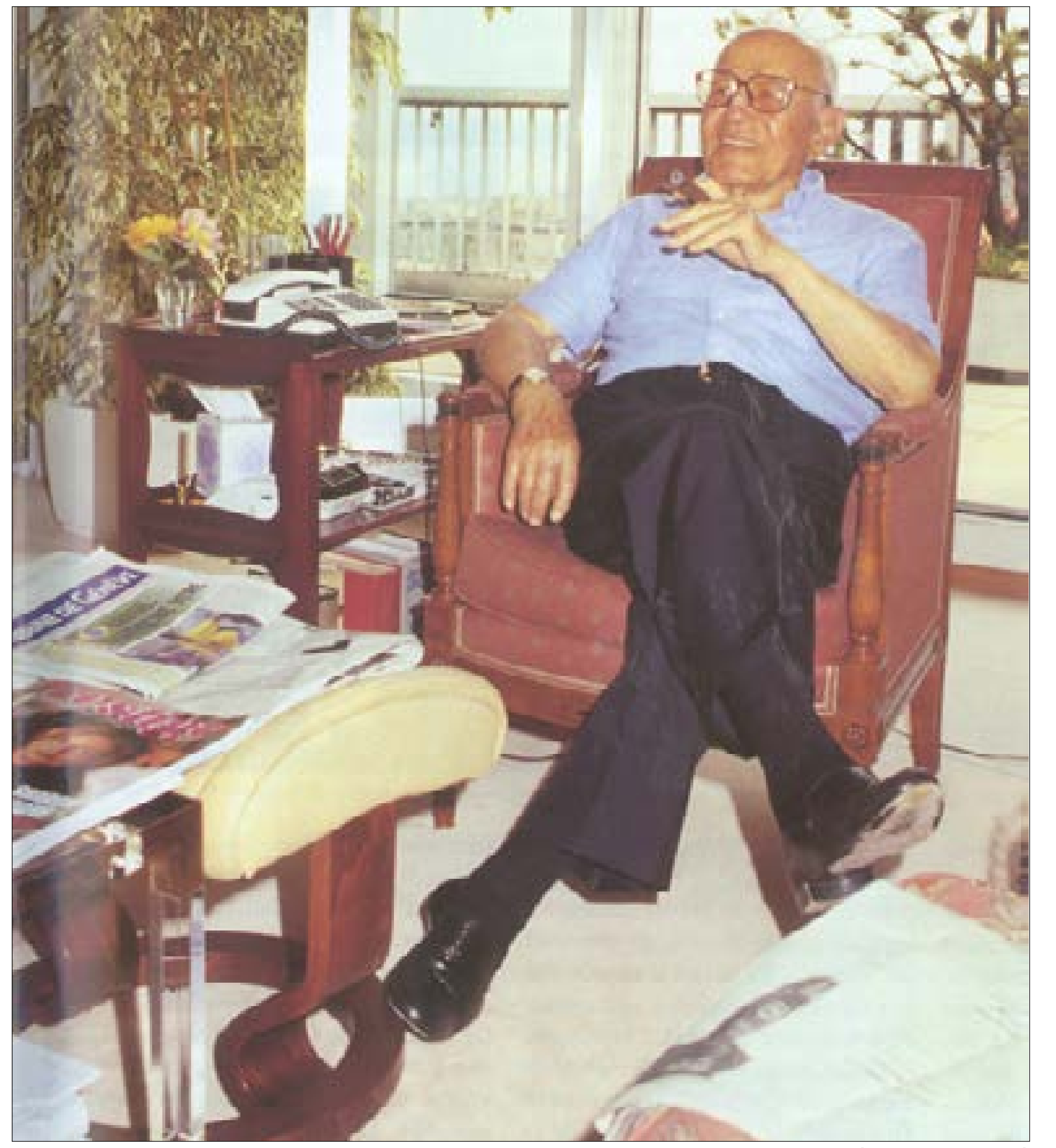

(بسام لحود - برستيج)

> من فوائد هذه المذكّرات أنها تميط اللثام عن الكثير من رؤساء لبنان، خصوصاً فؤاد شهاب وكميل شمعون، لأن هناك هالة أحيطت بهما عبر السنوات، وبجهد من أجهزة دعاية

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

الأخلاق السياسيّة في عصر العاطفة الانتقائيّة

ياسر عبد الحسين *

من المستحيل الهروب من الانطباع بأن الناس يستخدمون عادة معايير خاطئة للقياس، تقلّل من قيمة الحياة الحقيقية، كما يقول سيغموند فرويد في حديثه عن الحضارة. تلك المعايير التي بات من الضروري أن لا تقاس بالأبيض والأسود، بل بالألوان الرمادية، كما يرى إدوارد سعيد، على الأقل في القضايا الحاسمة، إذ يقول: «إذا أردت إعلاء شأن العدالة الإنسانية الأساسية فلا بد أن تطبّق ذلك على الجميع، لا أن تقتصر على اختيار أولئك الذين يسمح لك بهم الطرف الذي تنتمي إليه، وتسمح بهم لك ثقافتك أو أمّتك».

لكن هذه المقاييس تشكّل تحدّياً كبيراً مع فورة قيم الشعبوية، واختلالات الاشتباك القيمي، ومتلازمة الاضطرابات الهوياتية وعصر الخداع المؤكد، وزمن الإحباطات السائلة. أصبح الحديث عن الأخلاق ومنظومة القيم جدلاً قابلاً للتنمّر السياسي مع الدخول إلى عالم متناقض يفتقد لروح النقد. الغرابة أنه حتى في العصور التي عاش فيها العالم غياهب الظلم ومعارك التنوير وسباق الجهل وتعطيل العقول، لم يختف الحد الأدنى من الأخلاق الدبلوماسية التي أقصد بها في هذا السياق إظهار الاحترام أو الحد الأدنى على الأقل من الاحترام للبشر وقيمه الإنسانية أياً كانت مصادر هويته الداخلية والخارجية، لنكون أمام اختلال ميزان التعاطف العالمي والسياسي مع القضايا العالمية والإقليمية، كما يحصل اليوم في مقارنة الرأي العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية مقارنة بقضية أوكرانيا على سبيل المثال، أو كما حصل في الأزمة السورية وغيرها من القضايا الأخرى مثل العراق وسوريا وأفغانستان وليبيا، مع أن الحرب وفلسفتها هما ذاتهما في أي مكان. وكأن هناك معايير فلسفية خاصة قديمة تتجدد في عصر علوية الإنسان الغربي ومجتمعات الشمال على مجتمعات الجنوب، ودول الغرب الأطلسي على غيرها، انعكست عبر ازدواجية المعايير وانتقائية التعاطف والميول السياسية. المشاعر والعاطفة هما مدفأة أمام ثلج السياسة، هكذا دائماً قيل، ولهذا يجب على كل صانع قرار أن يحذر من تلك البضاعة في أن تسيطر على متجره، لأنها ستؤدي دائماً إلى سوء الفهم في منتجاته وقصر النظر السياسي، لكن بالنتيجة لسنا روبوتات ننتظر غيرنا ليبرمجنا، أو ننتظر مهندساً لكي يقوم بوضع خوارزميات حياتنا.

سلطة الأخلاق الدبلوماسية

يبقى السؤال هل هناك سلطة أخلاقية في عالم السياسة؟ سواء السياسة التي يراها ابن رشد بأنها صناعة الخير العام، أو تلك التي يراها ماكبريد بأنها فن جمع القاذورات، أو كما يقول أنيس منصور بأنها فن السفالة الأنيق. وعبر هذا الجدل التاريخي، ما زالت هناك سياسات تأخذ، أو تدّعي على الأقل، بأنها أقرب إلى الاعتبارات الأخلاقية، وأنها ضمن معاييرها الأساسية لسياستها العامة، تحت عناوين متعددة، منها ما يتعلّق بحقوق الإنسان، أو الأخلاق الكانطية، أو الأخلاق الإسلامية، أو الاعتبارات المسيحية، وغيرها. النقاش مفصّل في الفكر السياسي لبحث موضوع النفعية أو الشرائع الأخلاقية بقيود فرضت قديماً على أصحاب السلطة التي تجبرهم أحياناً على التحلي ببعض صفات هذه الوصفات دون أن تترك مساحة لحرية الاختيار عبر تقاليد وموروثات دأب عليها السلوك السياسي أياً كان مصدره، المعبد أو المؤسسة الدينية أو الصيرورة الاجتماعية. مثلاً اليسار، ومعلّمه ماركس، يريان أن الأخلاق هي صناعة الأقوياء لاستعباد الضعفاء والمعدمين، وأن القيم الأخلاقية من إنتاج الأقوياء اقتصادياً في المجتمع، وكما ذهب نيتشه إلى أن الرحمة والإحسان والصبر هي حيل ابتكرها الضعفاء ليضحكوا بها على الأقوياء. أو في إطار النظرية الليبرالية في العلوم السياسية، والتي طرحها فرانسيس فوكوياما في كتابه الصادر حديثاً «الليبرالية وسخطها» (Liberalism and Its Discontents) الذي عدّ الخلاف عنصراً أساسياً في أي ديموقراطية ليبرالية لكن هناك مجموعة أساسية من القواعد التي لطالما اعتُبرت غير قابلة للتفاوض، مثل حرية التعبير. لكنّ هذا الإجماع لم يعد من الممكن اعتباره أمراً مفروغاً منه كما كان سابقاً، بسبب موجات الشعبوية القائمة على الكراهية وظهور جماعات تضع حقوق مجموعات أقليات معيّنة فوق حقوق الأفراد بدرجة متفاوتة، وأن تلك الليبرالية النقية غير المغشوشة لم تتح لها أبداً فرصة للتألق، كما يقول فوكوياما. ومع كل هذه المساحة النظرية، يبقى العامل الأخلاقي يحارب من أجل إيجاد موطئ في عالم يعيش إطار الشك وانعدام اليقين، حيث تستحيل رؤية اللعبة كاملة، كما يصعب تحقيق رأي عام منظّم قادر على التغيير، مثل الحراك السياسي الاحتجاجي المنظّم، حيث سرعان ما يتفكك كما يذهب عالم الاجتماع الشهير زيغمونت باومان في كتابه «الأخلاق في عصر الحداثة السائلة».

العاطفة والعلاقات الدولية

يقول إيمانويل كانط: «وحدها السياسة التي تعيش في الظلام وتصطنع الدهاء تحاول عبثاً الانفكاك من سلطة الأخلاق، لكن سرعان ما يفتضح أمرها متى ألقت الفلسفة ضوءاً على مبادئها». ولهذا، يعيد هذا الجدل حديث الفلسفة المتكرر عن العاطفة والعلاقات الدولية، وعن مواجهات العقلانية مع سياق السلطة، إذ إن بضاعة العواطف، بما تحمل من تقلبات وجوامح، تعيق التفكير الرشيد في أكثر الأحيان، لكن في النتيجة السياسة والعلاقات الدولية هما نتاج بشري، والبشر لا يمكن فصلهم عن العواطف والمشاعر في الحياة الاجتماعية أو السياسية. ولهذا لا يمكن الفصل بينهم وهم في المحصلة داخل بوتقة واحدة، وحتى إن العاطفة في الأخير لا يمكن فصلها عن قاطرة العقلانية حتى إن هربت قليلاً في بعض المحطات. كما يعود سؤال العاطفة إلى الواجهة مع سؤال الهوية، والسؤال الأخير مع فقدان الثقة المتزايد في عالم اليوم، حتى كادت العاطفة أن ترسم ملامح خاصة لجيوبولوتيك العواطف، بحثاً عن الأمل والخوف وحالة عدم اليقين المتزايدة في خارطة العالم المملوءة بالصراعات والحروب والعنف والدمار.

> كما يذكر الأكاديمي البحريني نادر كاظم في كتابه «لماذا نكره؟»، الهوية قائمة على الكراهية، وإن تكنولوجيا التواصل أصبحت أداة تعمل على نقل الكراهيات بشكل سريع وأكثر تأثيراً

أمام صراع الجبابرة في العلاقات الدولية لن تبقى مساحة للمشاعر أو الاعتقادات العاطفية، حتى في لغة الاستعارات ما بين توصيف «رقعة الشطرنج» و«ألعاب الملاكمة» وبقية الرياضات، لا يمكن وصف هذا العالم بعلاقة الحب أو مشاعر رجل مع خليلته. وبالتالي فإن السياسة الواقعية هي دراسة للتعقيدات والتداخلات وليست بالأماني والأحلام والرومانسية والغضب. لكن الذي يحفّز هوية العاطفة للتضامن، أو الجفاء، أو الشعور المتراكم بالخيبات، أو الغضب الذي قد يؤدي إلى تزايد الكراهيات بين الدول والجماعات والأمم، ويصبح أشبه بالتدفق الحر للعواطف مثل سمفونية العولمة التي تعزف في كل مكان وحيثما تشاء، هو حرب الهوية، والتحولات الموازية لها. وكما سمّيتها في كتابي «الجيل الثاني للدبلوماسية: تدافع الهويات في السياسة الخارجية»، بأن الحرب القادمة هي حرب الهوية وستكون قبلها براكين العاطفة السياسية التي تسبق التحضير لتلك الحروب. أقول هذا بالرغم ربما من عدم صمود العاطفة أمام نظريات الواقعية العقلانية أو البنيوية.

تفاقم الأزمات والصراعات الجيوسياسية، أمام تيارات الكراهية الكوكبية والاعتداءات النيوليبرالية على الجوانب الأساسية للديموقراطية، ولا سيما أن رجال السياسة الجدد الذين يعتلون منابر أعوادها قائمة على العاطفة واستمالة الجمهور الغاضب أصلاً على كل ما هو موجود ليولد تيارات التعاطف، وبناء علاقات عاطفية وسياسية معادية ضد «هم»، وتهدّم أي جسر تواصلي بين «نحن» و«هم»، يسهم في صناعة بيئة راديكالية في نطاق الحكم والسلطة. ويضيف إليها رجال السلطة تضخيم قوى التعاطف العدائي من خلال رسائل متباينة، حيث إن بريق الكلمات البسيطة الشعبوية الملامسة لحاجات وأحلام الجماهير، غير العقلانية أحياناً، وضجة التصفيق المتلاحق في المسرح السياسي، كلّ ذلك يجعل الآذان صماء وفاقدة لذائقة سماع أي فكرة عقلانية. هذه الموجات تتلقاها البذرة الأولى للكراهية، المخبوءة في كوامن البشر. باتت العنصرية تختفي من سجل الجرائم المجتمعية. وكما يقول الشاعر المكسيكي ماريو بوخوركيس تكريماً للشاعر الإسباني لوركا:

«كلنا نملك ذرة من كراهية
وقلوبنا التي خُلقت لتُؤوي الحب
تقتل اليوم عضلاتها وتضخ عصاراتِ الغضب اليائسة»

نعم أتفق مع ما يقوله مكيافيلي بأن أخلاق الفرد غير أخلاق الدولة، وسلوك الدولة يختلف عن سلوك الأفراد، ونسبية المفهوم الأخلاقي في الموسوعة الفلسفية وفي إطار الفكر السياسي، لكن ثمّة مساحات حمراء لم يسبق للعالم تخطيها احتراماً لمساحة الأخلاق الدبلوماسية التي تقتضي الحفاظ على مساحة احترام إنساني، ولو من باب إسقاط الفرض. وكما يذكر الأكاديمي البحريني نادر كاظم في كتابه «لماذا نكره؟»، الهوية قائمة على الكراهية، وإن تكنولوجيا التواصل أصبحت أداة تعمل على نقل الكراهيات بشكل سريع وأكثر تأثيراً. قد ينظر إلى العواطف في العلاقات الدولية على أنها مساحة لمحاولة فهم وتشكيل لوحة نوايا وتصورات ودوافع الفاعلين في الساحة الدولية، تعزز عملية صنع القرار في عالم السياسة الخارجية.

«الرأي العام العالمي»

إن البحث الإيكولوجي الأوسع للتعاطف أو عدمه يجعلنا نؤمن بأن مصطلح الرأي العام العالمي لا وجود له ومجرد مشاعر تتحكم فيها شركات العولمة الكبرى التي تسجل فيها ما يحلو وتغضّ النظر عن ما تريد، وسط صراعات شديدة، لتساهم في بناء تيارات التعاطف.

في علم النفس السياسي، تحتوي الصراعات السياسية على التعاطف والكراهية والغضب والسعادة والإذلال، وهي ممتلكات بشرية تتصدّر ساحات العلاقات الدولية، في حين أن المبادئ الأخلاقية، المعلنة على الأقل، تستدعي ردة فعل بشرية أو عالمية تجاه انتهاك ما يمسّ الكرامة الإنسانية، وهو ما يُعرف لاحقاً بالرأي العام العالمي، الذي بات مصطلحاً يحتاج إلى مراجعة بل إلى نفي لا يقل عن تهم انعدام ما يُعرف بالقانون الدولي.

لكن، في النهاية، سلطة الأخلاق ستفرض نفسها، وإن كانت المعركة مع التعاطف الانتقائي حرباً ليست هينة، في زمن البرمجة الإنسانية، ولكن كما تقول الروائية الراحلة رضوى عاشور: «طوبى لمن يبقى على سلامة عقله وروحه في زمن الريح الصفراء وانتشار الطاعون».

* ديبلوماسي عراقي وباحث أكاديمي

على الغلاف

الاتفاق النووي مُحفّزاً للتمرّد
إسرائيل تترقّب «الكارثة الاستراتيجية»

وليد شرارة

في معرض شرحه للأسباب التي تَدفعه إلى الاعتقاد بأن عودة الولايات المتحدة إلى الالتزام بالاتفاق النووي ستكون بمثابة «الكارثة الاستراتيجية»، يرى رئيس «الموساد»، دافيد برنياع، أن من بين تلك الأسباب خطر نظر بعض دول المنطقة إلى إيران باعتبارها «نموذجاً». ما يخشاه برنياع ليس تحوّل النظام السياسي الإيراني إلى نموذج بالنسبة لأنظمة المنطقة الأخرى، نتيجة لإختلاف طبيعتها عنه أصلاً، بل تَوجُّهه الاستقلالي في مواجهة مشاريع الهيمنة الأميركية والإسرائيلية. سبق لإيران أن كانت مصدر إلهام لحركات التحرّر الوطني في العالم العربي وبقيّة بلدان الجنوب، في مطلع خمسينيات القرن الماضي، عندما قرّرت حكومة محمد مصدق تأميم النفط الإيراني، مُدشنةً عهد استعادة شعوب الجنوب سيطرتها على مواردها الطبيعية، لتوظيفها في تنمية بلادها. لعب هذا القرار مثلاً دوراً هامّاً في تشجيع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، على تأميم قناة السويس، وفقاً لما أورده المفكّر الكبير محمد حسنين هيكل في كتابه الصادر بالإنكليزية «قطع ذيل الأسد» عام 1986. يُخصّص لمعركة السويس. كشف القرار الإيراني آنذاك، من منظور شعوب الجنوب وأنظمتها وقواها الوطنية، التغيُّر في موازين القوى لغير صالح أطراف الاستعمار القديم، وفي المقدّمة منهم بريطانيا وفرنسا. الظروف الدولية الراهنة، على رغم اختلافها في نواحٍ عدة عن تلك السائدة في الحقبة المذكورة، تتضمّن أوجه تشابه بارزة معها، أهمّها تراجُع قدرة القوّة المهيمنة سابقاً، أي الولايات المتحدة، على السيطرة والتحكّم، واحتدام الصراع بينها وبين قوى صاعدة، أي الصين وروسيا، واتّساع هامش الاستقلالية المُتاح أمام بلدان الجنوب، وهو ما اتّضح مثلاً في مواقفها من الحرب الأوكرانية، ورفضها الإملاءات الأميركية بفرض عقوبات على روسيا. لقد صمدت إيران منذ انتصار ثورتها، وفي ظروف بالغة الصعوبة، في مقابل سياسات حرب أميركية مُتعدّدة الأشكال ضدّها، وهي على وشْك تسجيل انتصار بالنسبة لبرنامجها النووي والعقوبات المُتّخذة بحقها ارتباطاً به، في سياق دولي تستعر فيه التناقضات بين القوى الكبرى. قد تنجح دول الإقليم في انتزاع مكاسب استراتيجية كبرى، سياسية واقتصادية، إنْ هي أحسنت الإفادة منه، وأوجدت في ما بينها صيغاً للتشاور والتعاون على قاعدة مصالحها المشتركة، وهي وازنة، وحالت دون المساعي الغربية والإسرائيلية لإثارة الانقسامات بينها، وهي الأداة التقليدية لإدامة الهيمنة.

الصراع الدولي وهامش الاستقلالية من الملاحَظ أن يقوم مسؤول أمني صهيوني بتحذير دول الغرب من مغبّة اتّباع دول في المنطقة «النموذج الإيراني». هو بكلّ تأكيد لا يقصد دولة كسوريا مثلاً، هي جزء لا يتجزّأ من محور المقاومة. مَن يشير إليها برنياع، من دون تسميتها، هي تلك الدول المصنّفة «حليفة» للغرب، كمصر وتركيا وربّما بعض دول الخليج. هو يحاول أن يُذكّر قادة الغرب بالوظيفة الأصلية للكيان الصهيوني باعتباره قاعدته المتقدّمة في المنطقة، ومحطة إنذاره المبكر حيال المخاطر التي تهدّد مصالحه. إسرائيل لم تَعُد اليوم مجرّد قاعدة عسكرية غربية، بل تحوّلت والحركة الصهيونية إلى جزء عضوي من منظومة الهيمنة الغربية. الخلاف حول وجاهة عودة واشنطن إلى الالتزام بالاتفاق النووي مع طهران، هو خلاف داخلي بين قوى هذه المنظومة ومكوّناتها، حيث يحاول جناحها المعارض أن يقنع ذلك المؤيّد بأن مثل هذه العودة ستشجّع دول المنطقة الأخرى على المزيد من التمرّد على إرادة الولايات المتحدة، في سياق تخوض فيه الأخيرة مواجهتَين استراتيجيتَين مصيريتَين مع روسيا والصين.

> «المرونة التكتيكية» هي التي ميزت سياسة واشنطن خلال عصرها الذهبي الإمبراطوري

لقد أظهر رفض هذه الدول الانصياع للطلبات الأميركية الخاصة بفرض عقوبات على روسيا، أو بزيادة معدّلات إنتاجها للنفط لتخفيض أسعاره والإضرار بالاقتصاد الروسي، وكذلك النموّ المطرد لعلاقاتها مع موسكو وبكين، ميلاً متزايداً نحو الاستقلالية، بثير قلقاً متعاظماً في واشنطن، وفي الكيان الصهيوني. فقد أصبح من الواضح أيضاً، بعد قمّة جدة الأخيرة، أن مشروع إقامة حلف خليجي - صهيوني مَرعيّ أميركياً ضدّ إيران، هو مشروع لن يجد طريقه إلى التنفيذ. السياق الدولي الجديد، وسمته الرئيسة تراجع هيمنة أميركا وتأجّج مجابهتها الاستراتيجية مع «منافسيها»، أتاح لإيران أن تنتزع تنازلات جدّية من واشنطن، وقد يحفّز بقيّة دول الإقليم على تصلّب أكبر في مواجهة الإملاءات الأميركية التي لا تخدم مصالحها. هذا ما يحاول رئيس «الموساد» قوله للتحريض ضدّ العودة إلى الاتفاق النووي مع إيران.

«المكر» وآثار الانقسامات لتأبيد الهيمنة

لم يكن مبدأ «فرّق تَسُد» معتمداً من القوى الاستعمارية الغربية لتثبيت سيطرتها في داخل مستعمراتها فقط، بل هو بقي ساري المفعول في سياساتها على صعيد عالمي بعد حصول البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة على استقلالها لمنعها من التفاهم في ما بينها، والتصدّي لمختلف أشكال الهيمنة. ارتكزت هذه السياسات على تناقضات موضوعية في المصالح بين أنظمة ما بعد الاستقلال، وعملت على تأجيجها لتتحوّل إلى تناقضات تناحرية. كان من الممكن للأنظمة المستهدَفة أن تجد آليات سلمية لحلّ تلك التناقضات، والتوصّل إلى توافقات وتفاهمات تسمح بقدْر من التعاون في ما بينها على قاعدة مصالحها المشتركة. غير أن التوجّهات الأميركية كانت دوماً العقبة الأساسية أمام مثل هذا الاحتمال. مقال جنان غنايش، وهو محرّر مشارك وكاتب عمود في «فايننشال تايمز»، صحيفة عالم الأعمال «العريقة والرصينة»، وعنوانه «معسكر الاستبداد سينقسم قبْل المعسكر الغربي»، يشكّل إقراراً نادر الصراحة بالحقيقة المُشار إليها، ودعوة للعودة إلى «المكر» للحفاظ على موقع الغرب في رأس هرم النظام الدولي.

يعتقد غنايش أن كراهية مَن يصفهم بـ«الأوتوقراطيين» للغرب، ويشمل بهذا التوصيف الأنظمة السياسية المتنوّعة في موسكو وبكين وطهران والرياض والقاهرة، «لا تفضي إلى تلاحم وثيق في ما بينهم. فما أنقذ القضية الليبرالية في القرن الـ20، إضافة إلى القوّة الأميركية، هو الضعف البنيوي للجبهة المعادية لها. على الغرب أن يسعى لضمان تكرار الأمر عينه في القرن الـ21. قد يتطلّب ذلك تعزيزاً للعلاقات مع أنظمة مارقة في بعض الأحيان، وتسعيراً للتوتّرات في صفوفهم. الأوتوقراطيات ليست أقلّ استعداداً للتنازع في ما بينها ممّا كانت عليه منذ 50 عاماً، عندما صافح نيكسون شو إن لاي، في أوْج الخلاف بين موسكو وبكين. السؤال اليوم هو ما إذا كان الغرب لا يزال لديه الدراية والمكر لاستغلال مثل هذه التناقضات».

«المرونة التكتيكية» هي التي ميّزت سياسة واشنطن خلال عصرها الذهبي الإمبراطوري، وفقاً لغنايش: «وكالة استخباراتها المركزية لم تتردّد في شراء نتائج انتخابات أو في تنظيم انقلابات عسكرية. إذا كانت الولايات المتحدة، في زمن أوْج قوتها، جاهزة للتكيّف أخلاقياً مع هذه الأساليب، فإلى أي مدى هي مستعدّة للذهاب اليوم؟». ستجهد الولايات المتحدة، ومعها إسرائيل، لمحاولة الحؤول دون تفاهمات إقليمية تُوفّر لبلدان المنطقة بمجملها التوصّل إلى تفاهمات في ما بينها تصبّ في مصلحتها جميعاً، والاستمرار في استغلال بعضها ضدّ بعضها الآخر. ربّما يكون استلهام النموذج الإيراني مجدّداً مفيداً لإفشال «المكر» وسياساته، والتعاون وفقاً لما يقتضيه أمن واستقرار وازدهار شعوب الإقليم.

سيف لإيران أن كانت مصدر إلهام لحركات التحرّر الوطني في العالم العربي (أ ف ب)

إيران تدرس الردّ الأميركي: سنأخذ وقتنا

طهران ـ **محمد خواجوني**

سلّمت الولايات المتحدة، ليل الأربعاء - الخميس، ردّها على الملاحظات الإيرانية على المقترح الأوروبي بشأن إحياء الاتفاق النووي المبرَم عام 2015. وإذ تحدّثت تقارير غير رسمية عن أن هذا الردّ لا يتمثّل بـ«نعم» أو «لا»، بل يقع في منزلة متوسّطة بين الاثنتَين، فإن ذلك قد يدفع الطرفَين إلى خوض جولة مفاوضات جديدة، علماً بأن أيّاً منهما لم يدلِ إلى الآن بتعليق رسمي حول تفاصيل النصّ الأوروبي المقترَح، أو وجهات النظر الإيرانية والأميركية حياله. وعقب منسّق الاتصالات الاستراتيجية في مجلس الأمن القومي الأميركي، جون كيربي، على خطوة بلاده الأخيرة بأنه «على الرغم من الاقتراب من الاتفاق، بيد أن بعض الخلافات لا تزال قائمة»، فيما انكبّت إيران على دراسة التعليقات الأميركية، على أن تُعلن رأيها بخصوصها بعد الانتهاء من البحث. وتُفيد مصادر إيرانية مطّلعة بأن الدراسة بدأت على مستوى الخبراء، وستستغرق الوقت الذي تتطلّبه، وبعد الانتهاء منها، سيُحال الأمر إلى مراكز صُنع القرار لتدقيقه على مستويات أعلى، فيما أوردت صحيفة «بوليتيكو» الأميركية، نقلاً عن مصدر مطّلع، أن «الردّ الأميركي يتركّز على الضمانات الاقتصادية»، واصفةً إيّاه بأنه «أقلّ من التوقّعات الإيرانية». وبحسب المصدر، فإنه «الآن، يجب رؤية ما إذا كانوا سيعتبرون ذلك أيّ اقتراح جديد سيؤدي إلى إطالة أمد محادثات فيينا، مستدركاً بأن «المشاركين في العملية التفاوضية، وفقاً للتقليد الدبلوماسي المألوف والمتعدّد الأطراف، لهم الحق في إدخال تغييرات على نصّ الاتفاق».

وشدّد وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، أوّل من أمس، على ضرورة «توفير مصالح إيران ومراعاة خطوطها الحمر»، معرباً عن أمله بأن «يعود وزراء خارجية أطراف الاتفاق إلى فيينا للخروج بمحصّلة المحادثات، وذلك بعد الانتهاء من الدراسات التخصّصية في طهران». كما شدّد على ضرورة «إغلاق الوكالة الدولية للطاقة الذرية ملفّ الضمانات المتعلّق بثلاثة مواقع مشتبهٍ في وجود أنشطة نووية عسكرية فيها»، مؤكداً أن بلاده «جادّة في ما تبقّى من مسألة الضمانات». وفي تصريح آخر أمس، أعلن عبد اللهيان «أننا نمرّ بالمراحل النهائية»، معتبراً أنه «إذا ما تحلّت واشنطن بالواقعية، فيمكننا التوصّل إلى حلّ لتحقيق الاتفاق النووي». من جهته، وصف مسؤول السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، الردّين الإيراني والأميركي على المقترَح الأوروبي بأنهما «معقولان»، آملاً أن «تتوصّل الجهود الرامية إلى إحياء الاتفاق إلى نتيجة». ونبّه كبير المفاوضين الروس ومندوب روسيا لدى المنظّمات الدولية في فيينا، ميخائيل أوليانوف، إلى أن تقديم أيّ اقتراح جديد سيؤدي إلى إطالة أمد محادثات فيينا، مستدركاً بأن «المشاركين في العملية التفاوضية، وفقاً للتقليد الدبلوماسي المألوف والمتعدّد الأطراف، لهم الحق في إدخال تغييرات على نصّ الاتفاق».

في هذا الوقت، أجرى المسؤولون الإسرائيليون، خلال الأيام الماضية، مشاورات مكثّفة مع الجانب الأميركي، في محاولة للحيلولة دون توقيع الاتفاق في اللحظة الأخيرة، بعدما حاولت إدارة جو بايدن طمأنة تل أبيب إلى أن الصفقة تراعي مصالحها، من دون أن تُفلح في ذلك. وفي أحدث جولة من المحاولات الإسرائيلية، زار وزير الدفاع، بيني غانتس، أوّل من أمس، واشنطن، للقاء نظيره الأميركي بريدة سوليفان، ومساعِدة وزير الخارجية الأميركي ويندي شيرمان، فيما لم يفلح في لقاء وزير الخارجية أنتوني بلينكن، لأسباب تعود إلى جدول أعمال الأخير، علماً بأن حكومة لابيد تتّهم بلينكن وفريقه بأنهما أكثر مرونة حيال إيران وتشوّقاً إلى إحياء «خطّة العمل المشتركة الشاملة» معها، من سوليفان والآخرين، وفق وسائل إعلام إسرائيلية. وفي الإطار نفسه، ذكرت مصادر عبرية أن لابيد حاول التحدّث إلى بايدن هاتفياً، بيد أن البيت الأبيض أبلغه أن الرئيس في «إجازة»، وأن المكالمة ستتمّ «قريباً».

> أجرى المسؤولون الإسرائيليون، خلال الأيام الماضية، مشاورات مكثّفة مع الجانب الأميركي

وكان لابيد قد استبق تسليم واشنطن ردّها، بإعلانه صراحة رفضه النصّ الحالي للاتفاق النووي، مُلوّحاً بأن «إسرائيل تعتبر نفسها غير ملتزمة به». لكنه عاد ليقول إن «الأميركيين قبلوا معظم البنود التي طلبتها إسرائيل، ووضعوها في النصّ، وهو تغيير مرحَّب به». وعلى رغم ما تقدّم، فإن رئيس «الموساد» الإسرائيلي، ديفيد برنياع، حذّر من أن الاتفاق النووي «كارثة استراتيجية»، باعتبار أنه «سيسهّل على إيران حيازة أسلحة نووية على المدى الطويل، وهي جهود لم تتخلّ عنها أبداً»، كما قال.

استبق لابيد تسليم واشنطن ردّها بإعلانه صراحة رفضه النصّ الحالي للاتفاق النووي (أ ف ب)

رصد

يستمرّ التناقض في الإشارات الآتية من تركيا بخصوص مسار المصالحة مع سوريا وآخر مظاهره تلويح متجدّد بعملية عسكرية في الشمال السوري، ودعوة من خارج السياق إلى «وضع دستور جديد لسوريا بالسرعة الممكنة»، دعوةٌ سرعان ما وجدت مؤيّدين لها في أوساط القاعدة «الإردوغانية» الرافضة للمصالحة، والتي عادت إلى رفع سقف الشروط حدّ الحديث عن «منطقة آمنة»، فيما ذهبت منابر المعارضة إلى الحديث عن العقوبات التي تعترض طريق التطبيع، من دون أن تعدّ ذلك مستحيلاً

تذبذب تركيّ حيال سوريا: عودةٌ إلى لغة التهديد

محمد نور الدين

جاءت تصريحات وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، خلال زيارته الأخيرة لموسكو، واضحةً لناحية التأكيد أن مفتاح المصالحة مع تركيا، يتمثّل في انسحاب جيشها بشكل كامل من الأراضي السورية، وتخلّي حكومتها عن كلّ أنواع الدعم للمنظّمات الإرهابية، وتوقّفها عن التدخّل في الشؤون الداخلية السورية. لكن الإشارات الآتية من أنقرة بهذا الخصوص لا تزال موسومة بالتناقض؛ إذ جدّد الرئيس رجب طيب إردوغان تهديداته بأن بلاده «ستُواصل عملياتها العسكرية وفقاً لأولوياتها. وكما قُلنا سابقاً أقول اليوم لكلّ العالم، إنه يمكن فجأة وفي ليلة ما، الوصول إلى أيّ مكان»، مضيفاً أنه «في كلّ مرة نتّجه فيها إلى القيام بعملية عسكرية، يلوّحون بأصابعهم رافضين العملية، ونحن نعرف مِثل هذا النفاق والرياء، لكنّنا لن نردّ عليهم، وسنُواصل القيام بما تُمليه علينا أولوياتنا الأمنية»، مُنهياً كلامه بأنه «من دون شريط أمني بعمق 30 كيلومتراً، فلن تنتهي عملياتنا العسكرية». وجاء حديث إردوغان خلال الاحتفال الذي أُقيم بمناسبة الذكرى الـ951 لـ«موقعة ملازكرد» بين السلاجقة والبيزنطيين عام 1071، وذلك في منطقة أخلاط في شرق تركيا في مكان المعركة التاريخية التي انتهت بانتصار كبير للسلاجقة فَتح باب الأناضول أمامهم.

بدوره، اعتبر وزير الدفاع، خلوصي آقار، في حوار مع صحيفة «خبر تورك»، أن «تل رفعت ومنبج تُحوّلتا أخيراً إلى عشّ للإرهاب. وعملياتنا العسكرية ستتواصل حتى تنظيف المنطقة نهائياً من الإرهاب». وإذ أوضح أن «موعد العملية سيتحدّد عندما تكتمل الظروف لبدئها»، فقد دعا إلى «وضع دستور جديد لسوريا بالسرعة الممكنة، حتى تُجرى على أساسه انتخابات تنبثق عنها حكومة شرعية». وفي الاتجاه نفسه، كتب في الصحيفة عينها، كمال أوزتورك، المُوالي للسلطة، قائلاً إن «أيّ سلام تركي مع سوريا يجب أن يتضمّن دستوراً جديداً وانتخابات، وعودة اللاجئين واستعادة ممتلكاتهم، وإخراج الميليشيات الإيرانية من سوريا، وعدم انسحاب القوات التركية إلّا بالتزامن مع انسحاب القوات الأميركية والروسية والإيرانية وحزب الله، ووقف نشاط حزب العمال الكردستاني، ووضع نظام دستوري يساوي بين جميع الأعراق والمذاهب». واعتبر أنه «في حال لم تُوافق سوريا على هذه الشروط، يجب استصدار قرار من الأمم المتحدة بإنشاء منطقة آمنة ومنطقة حظر جوّي فوق سوريا وما إلى ذلك من إجراءات».

وبينما رأى سادات إرغين، في صحيفة «حرييات»، أن كلام المقداد عن التنظيمات الإرهابية إنّما يُقصد به «الجيش السوري الحر»، و«هذا سيكون من المشكلات الشائكة في الحوار بين البلدَين»، فقد أعرب الناطق باسم حزب «العدالة والتنمية»، عمر تشيليك، عن اعتقاده بأن «الظروف التي كانت سبباً لقطع العلاقات مع سوريا لم تختفِ». ومع أن هذا التصريح فسّره البعض على أنه محاولة لتسكين قواعد الحزب، فإن ما لا يخفى هو أن جانباً من قاعدة إردوغان تَنظر بعين الشكّ إلى إمكانية تحقيق مصافحة بينه وبين الرئيس السوري، بشار الأسد، الذي طالما وصفتْه بأقذع النعوت، بل وتُعارض مِثل هذه المصالحة. لكن حتى النائب المعارض، مصطفى بلباي، اعتبر أن تلك المصافحة «ليست سهلة»، لافتاً إلى أن «هناك أكثر من أربعين عقدة في طريق العلاقات بين البلدَين، لكنها تبدأ بتفكيك العقدة الأولى عبر بدء الحوار المباشر»، في حين حذّر زعيم حزب «السعادة»، تيميل قره ملا أوغلو، إردوغان من أن يستغلّ «خطوة المصالحة لغايات سياسية داخلية»، مشدّداً على أن «العلاقات مع سوريا أكبر من أن تُدْخل في زوابع السياسات المحلّية».

وعلى مقلب الكتّاب المعارضين، كتب الباحث في الشؤون الخارجية، باريش دوستر، في صحيفة «جمهورييت» المعارضة، أن «مجرّد الوصول إلى مرحلة المفاوضات والجلوس إلى طاولة واحدة بين أنقرة ودمشق بعد 11 عاماً من القتال، هو أمر مهمّ وإيجابي»، مستدركاً بأنه «يجب القيام بالمسألة عن الوضع الذي وصلت إليه تركيا التي تُعتبر من أكبر الخاسرين، بعد سوريا، من الحرب القائمة، فيما كسبت الولايات المتحدة واستقرّت في سوريا داعمةً قوات الحماية الكردية، وكسبت بأتْخاذ اليونان وجنوب قبرص قاعدتها الرئيسة في شرق المتوسّط». ويشير دوستر إلى «انهيار السياسة الخارجية التركية التي تدّعي أنها رائدة العالم الإسلامي وزعيمة العالم العربي، فيما لم يتسبّب حبّ الإخوان المسلمين سوى في إلحاق الضرر الكبير بتركيا وإخافة العالم العربي»، مضيفاً: «لقد فُهم مرّة أخرى كم أن العلمانية ضرورية، ليس فقط في السياسات الداخلية بل أيضاً في السياسات الخارجية».

وفي «جمهوريات» أيضاً، كتب محمد علي غولر أن «الباب مع دمشق قد فُتح، ولكن يَصعب فتحه بالكامل»، عازياً ذلك إلى أن «سوريا ترى أن تركيا عملت على مدى 11 عاماً للإطاحة بالحكومة في دمشق، وفتحت حدودها للمقاتلين الأجانب، وأسّست ودعمت جيشاً من المعارضة، ولديها جنود يحتلّون مناطق مختلفة من أراضيها». أمّا لجهة تركيا، فإن «للعودة عن سياسات عمرها 11 عاماً من العمل على إسقاط النظام في سوريا، وإقامة مناطق نفوذ هناك، كلفة داخلية وخارجية»، وفق غولر، الذي أضاف أن «لتلك العودة تأثيرات على الانتخابات الرئاسية في الداخل. كما أن للتخلّي عن الجيش السوري الحر تأثيراته الأمنية التي يمكن أن تَظهر». ورأى الكاتب أن «العقبة الأساسية أمام التطبيع مع دمشق هي سياسات إردوغان المتعدّدة الأبعاد، من الفوز بانتخابات الرئاسة، إلى الحاجة إلى الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، لتحقيق المصالحة»، متابعاً أن هذه الصعوبات تتجلّى في تصريحات لمسؤولين في السلطة مِن مِثل: «نحن لم نقُل اتفاقاً بل مصالحة»، و«الهدف ليس التطبيع بل الحوار»، و«نظرتنا إلى الأسد لم تتغيّر». ومع ذلك، شدّد غولر على أن «التطبيع بين أنقرة ودمشق أهمّ من كلّ العقبات»، راسماً خريطة طريق لكيفية تحقيقه، على النحو الآتي:

1- انسحاب الجيش التركي تدريجياً من سوريا وتسليم السيادة للجيش السوري.

حذّر زعيم حزب «السعادة» إردوغان من أن يستغلّ «خطوة المصالحة لغايات سياسية داخلية» (أ ف ب)

2- إغلاق أنقرة جميع المقرّات السياسية للمعارضة في تركيا، كما قطْع كلّ العلاقات العسكرية مع المعارضة في الداخل السوري.

3- تطوير دمشق لنموذج العفو العام لنزع السلاح والبدء بحلّ مشكلة اللاجئين ميدانياً.

4- أن يعمل الجيشان السوري والتركي معاً ضدّ كلّ الجماعات التي ترفض إلقاء السلاح.

من جانبه، عكَس جعفر تار، في صحيفة «يني أوزغور بوليتيكا» التابعة لحزب «العمال الكردستاني»، جانباً من الموقف الكردي من مسألة المصالحة، قائلاً إن «إردوغان، الخاسر الحقيقي في الحرب السورية، يريد لقاء الأسد في أسرع وقت وإنهاء العملية بأقلّ ضرر ممكن. ولكن هل النظام في سوريا مستعدّ لذلك وبأيّ شروط؟». ورأى تار أن «الكثير قد تَغيّر في المنطقة منذ عشر سنوات. لكن الأسد وإردوغان لم يَعُد بإمكانهما حلّ المشكلة بمفردهما، والسلام الدائم لن يكون ممكناً من دون موافقة الأكراد وحلفائهم».

مصر

المخابرات لا تعرف الأزمة: سباقٌ بذخٍ في «الشركة المتّحدة»

في تجلٍّ إضافي لحالة الانفصام التي تعيشها الدولة المصرية، وفي وقت يتسارع فيه العمل على إقرار إجراءات تقشّف سيكون من شأنها تعميق معاناة المواطنين، يتواصل صرْف ملايين الجنيهات على مشاريع إعلامية ضخمة لا يبدو أن ثمّة حاجة فعلية إليها، سوى في تبييض صورة النظام داخلياً وخارجياً. وبينما بدأت تفوح من تلك المشاريع روائح فساد ومحسوبيات، يبدو أن بعضها سيكون مهدّداً بالتوقّف في ظلّ استمرار سُخط تركي آل الشيخ على المخابرات المصرية التي تدير الملفّ الإعلامي، وهو ما ينذر بإمكانية تعطّل التمويل السعودي لخطط توسيع القنوات الإخبارية خصوصاً

القاهرة ـ **الأخبار**

بينما تصبّ الحكومة المصرية تركيزها على هندسة إجراءات التقشّف المنتظرة في إطار معالجة الأزمة الاقتصادية الخانقة، يشتغل تنافُس على «فائض الأموال» داخل «الشركة المتّحدة للخدمات الإعلامية» التي أسّستها المخابرات للتحكّم في وسائل الإعلام. وتنقسم الشركة، التي عُيّن رئيسها حسن عبد الله قائماً بأعمال رئيس البنك المركزي قبل أيام، إلى فريقَين: الأوّل، مسؤول عن البرامج الترفيهية والمنوّعات؛

تشهد «الشركة المتحدة» حالة بذخ كبير، ونشوء شبكات لتوزيع الأموال على الموّيدين والتابعين

والثاني مسؤول عن القطاع الإخباري، وكلاهما يخطّط لإنفاق ملايين الجنيهات في غضون الأسابيع المقبلة، وسط حالة بذخ كبير، ونشوء شبكاتٍ لتوزيع الأموال على المؤيّدين والتابعين، وإبعاد أهل الكفاءة تدريجياً. ويخطّط الفريق الأوّل، الذي عُيّن كامل أحمد فايق مسؤولاً عنه، لإطلاق برامج متنوّعة بميزانيات ضخمة، بالاستفادة من تجربة فايق كمقدّم لبرنامج «مصر تستطيع»، إضافة إلى خبرته في رئاسة تحرير برنامج «صاحبة السعادة» لإسعاد يونس. وستعتمد ميزانيّات تلك البرامج على التمويل الخليجي، حيث أصبحت العقود المرتقب توقيعها مع القنوات السعودية والإماراتية في هذا الصدد شبه مكتملة، فيما يجري توسيع لائحة الضيوف، والاتفاق المسبَق معهم على الظهور في أكثر من برنامج في مقابل الحصول على أجور أقلّ - وهي سياسة وإن كان ظاهرها الترشيد، فإن باطنها هو زيادة نسبة العمولات التي يتمّ تحصيلها في الخفاء -، فضلاً عن التصالح مع بعض الوجوه التي كانت الشركة قد غضبت عليها في أوقات سابقة من إعلاميين أو فنانين. ومن بين المشاريع الجديدة، برنامج للمطربة انغام التي دخلت على خطّ الوساطة بين المخابرات ورئيس «هيئة الترفيه» السعودية، تركي آل الشيخ.

أمّا القطاع الإخباري، فيرأسه أحمد الطاهري، رئيس تحرير مجلة «روز اليوسف»، والذي صعد بسرعة صاروخية داخل «الشركة المتّحدة» ليُضحي مسؤولاً عن جوانب مالية وإدارية فيها، بعدما دخلها نائباً لرئيس قناة «إكسترا نيوز» التي أطلّ على شاشتها مُقدّماً برنامج «كلام في السياسة»، ثمّ «الحوار الوطني» الذي أعاد من خلاله عدداً من الوجوه المعارضة التي مُنعت من الظهور لسنوات، في إطار العمل على تحسين الصورة الحقوقية قبيل قمة المناخ. ولم يكن تعيين الطاهري رئيساً للقنوات الإخبارية في الشركة، مع تبعيّته مباشرة لرئيس مجلس إدارتها، في السابع من تموز الماضي، مفاجأة يتيمة، بل تبعتها مفاجآت أخرى بدأت باستبعاد شخصيات عدّة كان لها دور رئيس في الفترة الماضية من مثل خالد مرسي والبرت شفيق، مروراً بالإعلان عن إطلاق شبكة قنوات إخبارية موزّعة بين واحدة إقليمية وأخرى دولية وثالثة للبثّ المباشر، وصولاً إلى إلحاق العشرات من الشباب المحسوبين على «تنسيقية شباب الأحزاب» والأحزاب المؤيّدة للنظام، بالأمر المباشر، بالعمل في تلك الشبكات ما بين مناصب قيادية، أو ضيوف ثابتين مقابل مبالغ مالية تُدفَع شهرياً أو أسبوعياً. واللافت أن هذه المبالغ تتفاوت بحسب هويّة الضيف ومدى قُربه من دوائر بعينها، علماً بأن القائمة تشمل أيضاً صحافيين وأعضاء في مجلس النواب على غرار فريدة الشوباشي، فضلاً عن بعض الأسماء التي يريد النظام تعويضها كالكاتب عبد الحليم قنديل الذي سُجن في بداية حُكم عبد الفتاح السيسي. وينسحب الحال كذلك على مدينة الإنتاج الإعلامي والتلفزيون المصري، اللذين شهدا أخيراً تعيينات جديدة تنتظر تصديق الجهات الأمنية عليها بناءً على مدى ولاء أصحابها للسيسي.

ويستغلّ الطاهري، الذي يدير أيضاً القناة الأولى في التلفزيون المصري التي أصبحت تابعة لـ«الشركة المتّحدة» عملياً، موقعه من أجل التسويق لإنجازات مفترضة. إذ تحفل الصحف بمقالات حول ما يقوم به، في مقابل مكافآة اصحاب تلك المقالات سواء بالظهور كضيوف أو حتى بالتعيين في المجموعة، فيما تحوز مجلّة «روز اليوسف»، حتى بعناوينها وموضوعاتها القديمة، نصيباً بارزاً من الشاشة. ودخل إلى القطاع الإخباري الذي أسّسه الطاهري، خلال أيام قليلة، عشرات الموظفين برواتب متفاوتة بحسب خلفيّاتهم، على رغم أنهم يؤدّون المهامّ نفسها تقريباً، فيما جرى تهميش العاملين في القطاع منذ سنوات - مع احتفاظهم برواتبهم من دون عمل أو في مقابل أعمال بسيطة -، باستثناء المجموعة المقرّبة منه والتي أسندت إليها مناصب قيادية، من مِثل إدارة محطّة «إكسترا نيوز» التي سُلّمت إدارة البرامج فيها مثلاً لرئيس تحرير برنامجه (يُتوقّع أن يحظى المقرّبون بمناصب أعلى في قناة «القاهرة» الإقليمية التي يجري التحضير لإطلاقها). وتسود أوساط العاملين حالةٌ من السخط بسبب تعمُّد الطاهري إهانتهم، والحديث إليهم بصوت مرتفع، في ما يفسّرونه هم بمحاولته التغطية على ضعفه في الإدارة، وقصوره عن التعامل مع الأمور الطارئة مقارنةً بمَن سبقوه، وهو ما يسعى إلى تعويضه أيضاً بالاستعانة بخبرات سابقة من التلفزيون المصري، وتحديداً الشخصيات التي تخطّت السنّين من العمر ولا ترغب في أدوار قيادية. كذلك، يستغلّ الطاهري موقعه لتصفية حسابات مع خصومه، عبر منعهم من الظهور حتى لو كانوا محسوبين على جهاز المخابرات، كما فعل مع محرّر الرئاسة السابق ورئيس تحرير موقع «الموقع» محسن سميكة، ورئيس تحرير جريدة «الجمهورية» عبد الرازق توفيق، ورئيس تحرير جريدة «روز اليوسف» أحمد باشا.

يشتعل تنافس على «فائض الأموال» داخل «الشركة المتحدة للخدمات الإعلامية» (أ ف ب)

وإلى جانب أداء الطاهري الذي يتسبّب بهذا الاحتقان الداخلي، تبرز مشكلة تعدُّد المشاريع المعلن عنها من دون وجود كفاءات لإدارتها، فضلاً عن الأخطاء التي تعتري عملية إذاعة الأخبار، وآخرها بثّ خبر تعيين محافظ البنك المركزي السابق، طارق عامر، مستشاراً للرئيس قبل أن يعلن اعتذاره عن المنصب، علماً بأن الرئاسة تعتمد في النشر، بالدرجة الأولى، على قنوات «المتحدة»، في محاولة لإحداث صدى وحمْل وسائل الإعلام العالمية على النقل عنها. ويُضاف إلى نقص الكفاءات، احتمال توقُّف التمويل السعودي الذي كان يُفترض ضخّه في الفترة المقبلة، وذلك على خلفية توتُّر العلاقات بين المخابرات وتركي آل الشيخ، بسبب موقف «الشركة المتحدة» المساند لطليقة الأخير، المُطربة آمال ماهر، والحملات التي تعرّض لها من اللجان الإلكترونية التابعة للمجموعة عبر مواقع التواصل المختلفة، ردّاً على حملته ضدّ حفل ماهر. ومن بين المشاريع التي يتهدّدها «غضب» آل الشيخ، القناة الإقليمية العتيدة، والتي يُفترض أن تكون للجانب السعودي فيها حصّة حاكمة لا تقلّ عن 51%.

تقرير

أميركا في اليمن: خطّة ثنائيّة لتثبيت النفوذ

لقمان عبدالله

على رغم أن الهدنة في اليمن لم تكن لتتحقّق لولا ثبات اليمنيين، وإصرارهم على انتزاع حقوقهم، إلّا أن الإدارة الأميركية تتعامل معها على أنها واحد من أفضل إنجازاتها الخارجية. وهو «إنجازٌ» كان دفع في اتّجاهه الظرف الدولي الناتج من الأزمة الأوكرانية، حيث وجدت الولايات المتحدة الحاجة ملحّة إلى الإسراع في تبريد الجبهة اليمنية خشية تشكيلها خطراً على إمدادات النفط والملاحة البحرية. وهكذا، فإن ما كان مستحيلاً قبل تلك الأزمة، صار بلمْح البصر ممكناً، بل وفرْض فرضاً على الأطراف الخليجية، ولا سيما السعودية، التي أُرغمت على الاستجابة لبعض المطالب الإنسانية التي طالما وضعتها صنعاء شرطاً لأيّ هدنة أو وقف لإطلاق النار. والظاهر أن واشنطن، انطلاقاً من الاعتبارات نفسها، ستعمل خلال المرحلة المقبلة على توسيع دائرة هذه الاستجابة، بعدما دأبت هي نفسها على استخدام الملفّات الإنسانية كأداة من أدوات الحرب، وهو ما يُجبِر توقُّع مزيد من الخطوات على صعيد رفع الحصار عن مطار صنعاء وميناء الحديدة، ودفْع رواتب موظّفي الدولة في المحافظات كافة.

وتعتبر الولايات المتحدة أن مصالحها تتأثر بما يجري في اليمن، وأن خروج هذا البلد من دائرة نفوذها يهدّد أمنها القومي ومصالحها الاستراتيجية، خاصة في ما يتعلّق بالملاحة البحرية وحماية الممرّات البحرية التجارية، والمقصود هنا تحديداً باب المندب الذي يُعتبر المدخل الجنوبي للبحر الأحمر؛ إذ تُوليه واشنطن أهمية فائقة، وتعدّ «حمايته» من أكبر أهدافها في الإقليم، سعياً لمنْع أيّ قوة دولية منافسة كما الصين وروسيا، أو إقليمية خصمة كما إيران، من تثبيت موطئ قدم لها فيه، بالإضافة إلى ضمان أمن إسرائيل عبره وكفالة تدفّق الغاز والنفط منه. وفي هذا الإطار، أعلن قائد الأسطول الأميركي الخامس، تشارلز برادفورد كوبر، في مقابلة صحافية قبل أيام، أن بلاده ستزيد من تركيزها على ضمان الأمن البحري، واستقرار الملاحة في البحر الأحمر، عبر باب المندب وخليج عدن. وأشار كوبر إلى أن بلاده أنشأت «قوّة الواجب المشتركة» الجديدة، والتي تُعدّ الأولى المعنيّة بالمنطقة المذكورة، من أجل الغرض المتقدّم، كاشفاً أن قوّاته تستعدّ أيضاً لنشر أحدث أسطول طائرات من دون طيار هناك، بحلول صيف 2023، لـ«ضمان الأمن البحري الإقليمي»، ورصد أيّ «نشاط مزعزع لاستقرار المنطقة، ولا سيما في الممرّات المائية الحيوية، وسرعة الاستجابة لردع هذه الأنشطة». وكان الأسطول الخامس في البحرية الأميركية أعلن، بالتزامن مع بدء الهدنة الأولى مطلع نيسان الماضي، تشكيل فرقة باسم «فرقة العمل المشتركة البحرية 153»، سيكون مسرح عملياتها البحر الأحمر، بالتعاون مع شركاء دوليين وإقليميين. وعلى إثر ذلك، جرى الحديث عن الإجراء المشار إليه بوصفه خطوة أميركية أحادية الجانب، لا تنفصل عن تداعيات الحرب الروسية - الأوكرانية، وتستهدف في الوقت ذاته إيران، من خلال التضييق على أذرعها «العنيفة» في المنطقة، خصوصاً أن قائد «الفرقة 153» أشار إلى أنها تستهدف، على نحو مباشر، التهديدات البحرية التي تثيرها «أنصار الله» جنوبي البحر الأحمر.

وإلى جانب ما تقدّم، يبدو أن خطّة الولايات المتحدة لتعزيز نفوذها في اليمن، تشمل أيضاً «برامج دعم» لـ«المجلس الرئاسي» - الذي تعصف الخلافات بين مكوّناته - بما لا يقلّ عن مليار دولار تحت ذريعة «المساعدات الإنسانية إلى الشعب اليمني». كما تتضمّن الخطّة، بحسب السفير الأميركي لدى اليمن ستيفن فاجن، دعم قوات خفر السواحل وحرس الحدود التابعَين للحكومة الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي، في إطار ما سمّاه «الجهود المشتركة لمكافحة الإرهاب»، إضافة إلى الدعم المُقدَّم عبر «وكالة التنمية الأميركية»، خصوصاً في مجال بناء القدرات المؤسّسية للبنك المركزي ووزارة المالية، فضلاً عن قطاعات الصحّة والتعليم والمياه والصرف الصحّي. كذلك، وافقت الإدارة الأميركية على استئناف برامج التبادل الثقافي مع اليمن، وعلى رأسها «برنامج الزائر الدولي» المتوقّف منذ سبع سنوات. وتأتي محاولة الولايات المتحدة البحثَ عن أطر للحضور المباشر نيابة عن حلفائها المهزومين في اليمن، بعدما وصلت الحرب التي أمدّتها بمختلف أنواع الدعم، مُشكّلةً رافعة للتحالف السعودي - الإماراتي فيها، وعاملاً رئيساً في إطالة أمدها، إلى طريق مسدود. ويكاد ما تقوم به واشنطن اليوم يماثل ما فعلته تحت ذريعة «مكافحة الإرهاب» منذ عام 2000، حيث اتّخذت من هذا الملفّ غطاءً لتدخّلاتها المباشرة، مهشّمة الحدود الفاصلة ما بين عمل السفير وما بين عمل المندوب السامي، وجاعلة من الحكومة اليمنية كياناً تابعاً بالمطلق لها.

الأخبار
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

إعلانات رسمية

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتأهيل خزان سعة 20000م3 لمادة الفيول أويل في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/1994 تاريخ 2021/5/11، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/9/30 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة. تسلّم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2022/8/22

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 444

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتأهيل نظام الحماية من الحريق (Sergi) على محولات القدرة لزوم محطة التحويل الرئيسية كسارة 220 ك.ف.، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/3487 تاريخ 2021/6/3، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/9/30 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 300/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة. تسلّم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2022/8/23

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 444

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتجهيز مجموعات الإنتاج في معمل الذوق بوحدات ضخ مواد كيماوية «additives» لتكييف الفيول أويل» HFO conditioning» لتخفيف الانبعاثات الغازية الملوثة، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/5079 تاريخ 2020/7/15، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/9/30 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 400/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة. تسلّم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2022/8/23

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 444

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتشغيل وصيانة معملي دير عمار والزهراني لمدة خمس سنوات، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/1617 تاريخ 2021/4/21، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/9/30 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 1 500/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة. تسلّم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2022/8/23

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 444

إعلان عن فقدان سند تمليك بحري

يعلن السيد عبد الحفيظ العيتاني بأنه فقد سند التمليك البحري رقم 2020/76 620» العائد لزورق الصيد «BAR CRUSHER رقم التسجيل 3018/جونية.

يمكن لمن لديه أي اعتراض التقدم من رئاسة مرفأ جونية خلال مهلة خمسة عشر يوماً من تاريخ نشر هذا الإعلان، للاتصال هاتف 03- 958751 - 09- 933818

رئيس مرفأ جونية

المهندس البحري بطرس نافع

إعلان

أمانة السجل التجاري في البقاع

تعديل اسم تجاري

بموجب محضر جمعية عمومية تاريخ 2022/6/1 تقرر تعديل الحق التوقيع للشركة التجارية المعروفة باسم: شركة سلوم إخوان – تضامن المسجلة تحت رقم 2000/3434 البقاع ليصبح فايز أسعد سلوم مدير عام للشركة وعثمان أسعد سلوم مدير مبيعات.

لكل ذي مصلحة الاعتراض خلال عشرة أيام من تاريخ النشر.

أمين السجل التجاري في البقاع

محمد عامر

استراحة

كلمات متقاطعة 4107

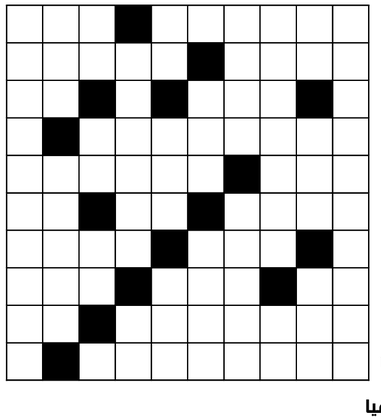

أفقيا

1- مدينة فرنسية – من الفاكهة 2- بحر روسي – رشوة – 3- ندم – خاصتي – 4- طائرة مقاتلة بريطانية الصنع كان يملكها الجيش اللبناني في القرن الماضي – 5- أنثر الماء – مدينة مقدّسة هندية – 6- يقفز بالجائزة – مأوى الدجاج – للإستدراك – 7- من الفاكهة – مدينة سورية – 8- للنداء – معظم الماء – لعاب الفم – 9- القصر – قطع الشيء – 10- نهر لبناني ينبع من مغارة جعيتا ويصبّ في البحر الأبيض المتوسط

عمودياً

1- مدينة في هايتي على الأطلسي كانت العاصمة قديماً – 2- من الطيور – امتدّ الظل – رب – 3- عاصمة موريتانيا – مقياس مساحة – 4- يشرح الدرس – ولاية في فنزويلا عاصمتها ماراكايبو – 5- من الحيوانات – تلوط – 6- قلب الإناء على رأسه – ممرّ يخترق الجبل – قاتل متسلسل إنكليزي لقّب بالسفاح – 7- شركة عربية للإنتاج الموسيقي – عكسها حرف نصب – 8- كتب بالقلم – متشابهان – في القميص – 9- مصيبة – مادة معدنية صفراء – 10- خليج يقع شماليّ البحر الأحمر بين شبه جزيرة سيناء والسعودية والأردن

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- هلموت كول – 2- ايجه – ابوجا – 3- رنين – برن – 4- نبي – مساويك – 5- ري – الرضيّ – 6- خندريس – 7- هوندا – رينو – 8- مكة – لب – ش ن – 9- لي – سطوة – 10- روستان – غزة

عمودياً

1- هايترخ هملر – 2- لي – بينوكيو – 3- مجري – دنّة – 4- وهن – فرد – ست – 5- يم – بالطا – 6- كانساس – بون – 7- وب – ال – 8- لوبورجيه – 9- جريض – نشاز – 10- بان كي مون

sudoku 4107

7			6	9		1		8
		6						5
5		9		8	7			
			5			4		9
4		2				6		7
1		7			9			
			1	2		8		4
	3					5		
2		4		5	3			1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4106

1	3	9	4	6	2	7	5	8
2	7	6	5	8	1	9	3	4
8	5	4	9	7	3	6	1	2
9	4	8	2	1	5	3	7	6
3	6	5	8	9	7	4	2	1
7	2	1	3	4	6	5	8	9
6	1	2	7	5	4	8	9	3
4	9	7	1	3	8	2	6	5
5	8	3	6	2	9	1	4	7

مشاهير 4107

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

عالم نفس أميركي وأستاذ جامعي (1905-1998) من جذور بريطانية. له نظرية حول عوامل الذكاء السائل والذكاء المتبلور

8+6+7+9 = عاصمتها أوتاوا ■ 3+1+11+2+3 = عملة عربية ■ 4+5+10 = ضد حياة

إعداد

نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **الشاب جيلاني**

مبوب

مطلوب

مطلوب موزّعون مع خبرة لا تقلّ عن 3 سنوات في بيع المواد الغذائية والمشروبات لمناطق المتن - كسروان - جبيل - بيروت والضاحية.

للمراجعة: 01/680680

البلاد

تحت الاحتلال

عمّال الضفة الصلب مرّتين

موسى جرادات

مطلع الأسبوع الماضي، نفّذ عشرات الآلاف من العمّال الفلسطينيين من الضفة الغربية إضراباً عن العمل في مناطق عملهم داخل الأراضي المحتلة عام 1948. الإضراب، وإن اكتسى صفة رمزية ليوم واحد، جاء ردّاً على قرار الاحتلال، بمباركة السلطة الفلسطينية، بتحويل رواتبهم عبر البنوك الفلسطينية.

رفض العمّال لهذا الإجراء هو جوهر فهم الإضراب وتداعيات القرار الإسرائيلي، «الصرخة» فتحت الباب لقراءة واقع العمالة الفلسطينية من الضفة الغربية، والتي تقدّر بين 150 ألف عامل إلى 200 ألف، فعدم وجود رقم محدد لعدد العمّال العاملين داخل الخط الأخضر هو أيضاً كاشف لمظلومية العامل الفلسطيني. منذ أشهر، اتخذت دولة الاحتلال قرار تحويل رواتب العمّال الفلسطينيين إلى البنوك الفلسطينية، ولاقى ترحيباً من قبل السلطة الفلسطينية، فالتحويل المالي جاء كخطوة ثانية من قبل سلطات الاحتلال في إقامة نظام السيطرة على العامل الفلسطيني، فيما الخطوة الأولى «السيطرة على الأجساد» عبر نظام التصاريح الذي يحدّد من يسمح له بالعمل داخل مناطق 48، بعد الفرز الأمني. الخطوة الثانية تتعلق بالسيطرة على حركة الأموال عبر إجبار المشغل الإسرائيلي على الكشف عن الراتب الفعلي الذي يقدمه للعمّال. وبذلك ينهي عملية التهرب الضريبي، ويتخلّص من التعامل المالي «بالكاش»، حيث تسعى دولة الاحتلال إلى تقليص حركة «الكاش» في تعاملاتها المالية. أمّا موافقة السلطة على هذا القرار فلها أسباب كثيرة، وتصب جميعها في خدمة القطاع المالي من خلال ما ستوفره من تدفق للسيولة المالية داخل البنوك الفلسطينية التي تقدرها مصادر اقتصادية فلسطينية بحدود ثلاثة مليارات دولار سنوياً نتيجة دولة الاحتلال قرار تحويل رواتب العمّال الفلسطينيين إلى البنوك الفلسطينية، ولاقى ترحيباً من قبل السلطة الفلسطينية، فالتحويل المالي جاء بناء على مخاوف المتعلقة بالخشية من الاقتطاعات الضريبية، ورسوم فتح الحساب، كذلك عدم تسليم كامل الراتب بذريعة الأزمة المالية التي تمر بها السلطة منذ سنوات. كل تلك المخاوف، صاحبتها أزمة فقدان الثقة بين العامل والسلطة، والتي عبّرت عن نفسها منذ سنوات خلت، لكنّها تعمّقت قبل سنتين أثناء أزمة جائحة «كورونا»، حيث تعاملت السلطة بإجحاف مع العامل، بعد أن قامت بمنعه من التوجه للعمل في مناطق الخط الأخضر، ولم تفِ بعهودها بتعويض العامل عن الأشهر التي توقف بها عن العمل مجبراً. فصندوق «وقفة عز»، الذي خصصته السلطة من أموال التبرعات، ذهب إلى جهات أخرى غير مستحقة.

البنك الدولي، في تقريره الصادر هذا العام، وصف حال العمالة الفلسطينية أثناء جائحة «كورونا»: «دخل نحو 110 آلاف فلسطيني إضافي دائرة الفقر. ويترتّب الفقراء الجدد في المناطق الريفية بالضفة الغربية، ومن المرجح أنهم يعيشون في أسر تعولها نساء. ومع فقدان 20% من أصحاب الدخل الرئيسيين الذين سبق لهم العمل لوظائفهم، انخفض الدخل في أكثر من 60% من الأسر الفلسطينية في ذروة الجائحة».

إضافة إلى هذا كله، يعتبر العمّال أن العلاقة القائمة بينهم وبين السلطة علاقة من طرف واحد، العامل هو الذي يتعرّض فيها للاستغلال من دون أي مردود مادي وقانوني، حيث ترك العامل وحده في مواجهة سلسلة من الإجراءات الاحتلالية، سواء من سلطات الاحتلال، أو من أرباب العمل الإسرائيليين. الأولى تتعلّق بسلسلة الإجراءات العقابية التي يعاني منها العامل أثناء دخوله للعمل داخل الخط الأخضر، والثاني يتعلق بالاستغلال من قبل سماسرة التصاريح، يتقاضى هؤلاء ثلث راتب العامل الشهري، مقابل حصوله على التصريح، تشير تقارير أولية إلى أن نسبة 50% من العمّال يملكون تصاريح من خلال هجائياً إلى كلمة «المقصلة»، فإنها تشبهها في المعنى وفي الحالة الفلسطينية، حيث تحوّلت تلك الأموال إلى مقصلة على عنق السلطة الفلسطينية، وأداة لابتزازها، كونها باتت تشكّل شريان الحياة لوجودها واستمرارها، إذ تشكل ما بين 65 – 70 % من إيرادات السلطة.

> بدأت منذ سنتين ملامح الحل المطروح على الطاولة: الحل الاقتصادي الذي يقوم في صلبه على سلسلة من الإجراءات الاحتلالية «التسهيلات المعيشية»

يقول أستاذ الاقتصاد نصر عبد الكريم، لـ«الأخبار»، إن الفلسطينيين حين وقّعوا اتفاق أوسلو ومن ثم اتفاقية باريس، انطلقوا من طموح أنها فترة انتقالية ستقودهم إلى الدولة، بمعنى أن اتفاقية باريس جاءت لخدمة مرحلة انتقالية بتعقيداتها الأمنية والسياسية، ومن ثم قيام الدولة، بالتالي يستطيعون تغيير اتفاقية باريس إلى شكل وأداة اقتصادية مختلفة، وتأسيس اقتصاد وطني ينسجم مع المبادئ الأساسية لوثيقة الاستقلال بما يضمن قيم العدالة وتوزيع الثروات ومراعاة حقوق الناس. ويلفت إلى أن المرحلة الانتقالية لم تُفضِ إلى إنهاء الاحتلال وقيام الدولة، ولذلك جميع المخططات الفلسطينية أربكت ولم تتحقق، الأمر الذي أدى إلى زيادة التبعية للاقتصاد الإسرائيلي، والهيمنة على الاقتصاد الفلسطيني، وبقي اتفاق باريس قائماً نظرياً ومطبقاً من جانب واحد وبالبنود التي تخدم إسرائيل، ومن ضمنها المقاصة. ويشير إلى أن إسرائيل سطت على أموال الفلسطينيين، ووضعت قواعد كثيرة على هذا الصعيد، فأصبحت تقتطع وتخصم بذرائع واهية، الكثير من المبالغ، لأن المقاصة معها، الأمر الذي أدى إلى تشوه الوضع الاقتصادي، لأن العلاقة مع الاحتلال أصبحت تحكمها، قوة الاحتلال العسكرية على الأرض.

> «السماسرة» الذين يقومون ببيعها إلى العمّال الفلسطينيين مقابل مبلغ مالي يصل إلى 650 دولاراً شهرياً، وفي حال تنفيذ قرار تحويل الراتب عبر البنوك بشكل شهري فإن ذلك سيرتّب عليه إيقاف هذا النوع من التصاريح.

عودة للبدايات

منذ العام 1967 والعامل الفلسطيني من الضفة الغربية، يعاني الاستغلال من رب العمل الإسرائيلي والشركات المشغلة له. هذا الاستغلال مر بمراحل مختلفة تبعاً لحاجة السوق، لكن ملامحه وأشكاله كانت طوال الوقت متشابهة، وتتعلق في معظمها بتدني الأجر الذي يتقاضاه العامل، وعدم وجود ضمان صحي، إضافة إلى عدم وجود تعويضات نهاية الخدمة. ومع مرور الوقت، استطاع العامل، في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، انتزاع بعض الحقوق، التي تتعلق بالضمان الصحي، وتعويضات نهاية الخدمة. ومع هذا بقيت الأجور دون الحد الأدنى التي يحصل عليها العامل الإسرائيلي. يتعامل الاحتلال مع شريحة العمّال الفلسطينيين من باب أنها عمالة رخيصة، ومع اندلاع انتفاضة الحجارة، ومشاركة العمّال الفلسطينيين فيها، وتنفيذهم العديد من العمليات الفدائية داخل الخط الأخضر، سعت دولة الاحتلال إلى منع العمّال الفلسطينيين من دخول الأراضي المحتلة عام 48، كعقوبة جماعية، وكذلك عدم تسليم كامل الراتب بذريعة الأزمة المالية التي تمر بها السلطة منذ سنوات. كل تلك المخاوف، صاحبتها أزمة فقدان الثقة بين العامل والسلطة، والتي عبّرت عن نفسها منذ سنوات خلت، لكنّها تعمّقت قبل سنتين أثناء أزمة جائحة «كورونا»، حيث تعاملت السلطة بإجحاف مع العامل، بعد أن قامت بمنعه من التوجه للعمل في مناطق الخط الأخضر، ولم تفِ بعهودها بتعويض العامل عن الأشهر التي توقف بها عن العمل مجبراً. فصندوق «وقفة عز»، الذي خصصته السلطة من أموال التبرعات، ذهب إلى جهات أخرى غير مستحقة.

البنك الدولي، في تقريره الصادر هذا العام، وصف حال العمالة الفلسطينية أثناء جائحة «كورونا»: «دخل نحو 110 آلاف فلسطيني إضافي دائرة الفقر. ويترتّب الفقراء الجدد في المناطق الريفية بالضفة الغربية، ومن المرجح أنهم يعيشون في أسر تعولها نساء. ومع فقدان 20% من أصحاب الدخل الرئيسيين الذين سبق لهم العمل لوظائفهم، انخفض الدخل في أكثر من 60% من الأسر الفلسطينية في ذروة الجائحة».

إضافة إلى هذا كله، يعتبر العمّال أن العلاقة القائمة بينهم وبين السلطة علاقة من طرف واحد، العامل هو الذي يتعرّض فيها للاستغلال من دون أي مردود مادي وقانوني، حيث ترك العامل وحده في مواجهة سلسلة من الإجراءات الاحتلالية، سواء من سلطات الاحتلال، أو من أرباب العمل الإسرائيليين. الأولى تتعلّق بسلسلة الإجراءات العقابية التي يعاني منها العامل أثناء دخوله للعمل داخل الخط الأخضر، والثاني يتعلق بالاستغلال من قبل سماسرة التصاريح، يتقاضى هؤلاء ثلث راتب العامل الشهري، مقابل حصوله على التصريح، تشير تقارير أولية إلى أن نسبة 50% من العمّال يملكون تصاريح من خلال هجائياً إلى كلمة «المقصلة»، فإنها تشبهها في المعنى وفي الحالة الفلسطينية، حيث تحوّلت تلك الأموال إلى مقصلة على عنق السلطة الفلسطينية، وأداة لابتزازها، كونها باتت تشكّل شريان الحياة لوجودها واستمرارها، إذ تشكل ما بين 65 – 70 % من إيرادات السلطة.

يقول أستاذ الاقتصاد نصر عبد الكريم، لـ«الأخبار»، إن الفلسطينيين حين وقّعوا اتفاق أوسلو ومن ثم اتفاقية باريس، انطلقوا من طموح أنها فترة انتقالية ستقودهم إلى الدولة، بمعنى أن اتفاقية باريس جاءت لخدمة مرحلة انتقالية بتعقيداتها الأمنية والسياسية، ومن ثم قيام الدولة، بالتالي يستطيعون تغيير اتفاقية باريس إلى شكل وأداة اقتصادية مختلفة، وتأسيس اقتصاد وطني ينسجم مع المبادئ الأساسية لوثيقة الاستقلال بما يضمن قيم العدالة وتوزيع الثروات ومراعاة حقوق الناس. ويلفت إلى أن المرحلة الانتقالية لم تُفضِ إلى إنهاء الاحتلال وقيام الدولة، ولذلك جميع المخططات الفلسطينية أربكت ولم تتحقق، الأمر الذي أدى إلى زيادة التبعية للاقتصاد الإسرائيلي، والهيمنة على الاقتصاد الفلسطيني، وبقي اتفاق باريس قائماً نظرياً ومطبقاً من جانب واحد وبالبنود التي تخدم إسرائيل، ومن ضمنها المقاصة. ويشير إلى أن إسرائيل سطت على أموال الفلسطينيين، ووضعت قواعد كثيرة على هذا الصعيد، فأصبحت تقتطع وتخصم بذرائع واهية، الكثير من المبالغ، لأن المقاصة معها، الأمر الذي أدى إلى تشوه الوضع الاقتصادي، لأن العلاقة مع الاحتلال أصبحت تحكمها، قوة الاحتلال العسكرية على الأرض.

> «السماسرة» الذين يقومون ببيعها إلى العمّال الفلسطينيين مقابل مبلغ مالي يصل إلى 650 دولاراً شهرياً، وفي حال تنفيذ قرار تحويل الراتب عبر البنوك بشكل شهري فإن ذلك سيرتّب عليه إيقاف هذا النوع من التصاريح.

عودة للبدايات

منذ العام 1967 والعامل الفلسطيني من الضفة الغربية، يعاني الاستغلال من رب العمل الإسرائيلي والشركات المشغلة له. هذا الاستغلال مر بمراحل مختلفة تبعاً لحاجة السوق، لكن ملامحه وأشكاله كانت طوال الوقت متشابهة، وتتعلق في معظمها بتدني الأجر الذي يتقاضاه العامل، وعدم وجود ضمان صحي، إضافة إلى عدم وجود تعويضات نهاية الخدمة. ومع مرور الوقت، استطاع العامل، في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، انتزاع بعض الحقوق، التي تتعلق بالضمان الصحي، وتعويضات نهاية الخدمة. ومع هذا بقيت الأجور دون الحد الأدنى التي يحصل عليها العامل الإسرائيلي. يتعامل الاحتلال مع شريحة العمّال الفلسطينيين من باب أنها عمالة رخيصة، ومع اندلاع انتفاضة الحجارة، ومشاركة العمّال الفلسطينيين فيها، وتنفيذهم العديد من العمليات الفدائية داخل الخط الأخضر، سعت دولة الاحتلال إلى منع العمّال الفلسطينيين من دخول الأراضي المحتلة عام 48، كعقوبة جماعية، وكذلك عدم تسليم كامل الراتب بذريعة الأزمة المالية التي تمر بها السلطة منذ سنوات. كل تلك المخاوف، صاحبتها أزمة فقدان الثقة بين العامل والسلطة، والتي عبّرت عن نفسها منذ سنوات خلت، لكنّها تعمّقت قبل سنتين أثناء أزمة جائحة «كورونا»، حيث تعاملت السلطة بإجحاف مع العامل، بعد أن قامت بمنعه من التوجه للعمل في مناطق الخط الأخضر، ولم تفِ بعهودها بتعويض العامل عن الأشهر التي توقف بها عن العمل مجبراً. فصندوق «وقفة عز»، الذي خصصته السلطة من أموال التبرعات، ذهب إلى جهات أخرى غير مستحقة.

البنك الدولي، في تقريره الصادر هذا العام، وصف حال العمالة الفلسطينية أثناء جائحة «كورونا»: «دخل نحو 110 آلاف فلسطيني إضافي دائرة الفقر. ويترتّب الفقراء الجدد في المناطق الريفية بالضفة الغربية، ومن المرجح أنهم يعيشون في أسر تعولها نساء. ومع فقدان 20% من أصحاب الدخل الرئيسيين الذين سبق لهم العمل لوظائفهم، انخفض الدخل في أكثر من 60% من الأسر الفلسطينية في ذروة الجائحة».

إضافة إلى هذا كله، يعتبر العمّال أن العلاقة القائمة بينهم وبين السلطة علاقة من طرف واحد، العامل هو الذي يتعرّض فيها للاستغلال من دون أي مردود مادي وقانوني، حيث ترك العامل وحده في مواجهة سلسلة من الإجراءات الاحتلالية، سواء من سلطات الاحتلال، أو من أرباب العمل الإسرائيليين. الأولى تتعلّق بسلسلة الإجراءات العقابية التي يعاني منها العامل أثناء دخوله للعمل داخل الخط الأخضر، والثاني يتعلق بالاستغلال من قبل سماسرة التصاريح، يتقاضى هؤلاء ثلث راتب العامل الشهري، مقابل حصوله على التصريح، تشير تقارير أولية إلى أن نسبة 50% من العمّال يملكون تصاريح من خلال

اقتصاد السلطة تحت مقصلة «المقاصة»

أحمد العبد

صادقت إسرائيل في نهاية تموز على اقتطاع 176 مليون دولار من أموال «المقاصة»، وهو نفس المبلغ الإجمالي الذي قالت إسرائيل إن السلطة الفلسطينية حوّلته العام الماضي للأسرى في سجون الاحتلال، إلى جانب اقتطاعات أخرى تقوم بها من تلك الأموال، مثل ديون الكهرباء المستحقة للشركة القطرية الإسرائيلية، وديون شركة المياه «ميكروت» وفواتير المستشفيات الإسرائيلية، والغرامات.

بلغ متوسط أموال المقاصة عام 2021، بعد الخصومات الإسرائيلية، 700 مليون شيكل (220,8 مليون دولار) شهرياً. وتشكل أموال المقاصة قرابة 63 في المئة من الدخل الشهري للحكومة الفلسطينية.

تجبي إسرائيل أموال الضرائب والجمارك المفروضة على السلع الفلسطينية المستوردة من الخارج، نيابة عن السلطة الفلسطينية، مقابل نسبة 3 % مما تجمعه، وفق ما جاء في اتفاقية باريس الاقتصادية الموقعة بين السلطة وحكومة الاحتلال عام 1994، والتي تعد الملحق الاقتصادي لاتفاقية أوسلو، نظراً لتحكم إسرائيل في الحياة الاقتصادية الفلسطينية من خلال سيطرتها على الموانئ والمعابر، وكذلك العمل بما يسمّى الغلاف الجمركي الموحّد من دون اعتبار لمستوى النمو والتطور في الاقتصاد الفلسطيني الناشئ مقارنة بالإسرائيلي.

اتفاقية باريس الاقتصادية تشبه اتفاق أوسلو، بأنه لفترة زمنية محددة (الفترة الانتقالية) التي كان يجب أن تفضي إلى قيام الدولة الفلسطينية، ومناقشة قضايا الوضع النهائي التي تم ترحيلها آنذاك، مثل: القدس والحدود والأمن، وفي ذلك الإطار جرى تشكيل لجنة إسرائيلية - فلسطينية مشتركة، لبحث القضايا الاقتصادية كافة بشكل يومي، لكن هذه اللجنة التي لم تجتمع سوى مرات قليلة، قامت إسرائيل بتجميدها عام 2000 مع اندلاع انتفاضة الأقصى. ولطالما طالبت السلطة الفلسطينية حكومة الاحتلال بإدخال تعديلات على اتفاقية باريس، وأدخلت وساطات دولية من أجل ذلك، لكن إسرائيل ترفض في كل مرة.

وتنفذ إسرائيل هذه الاقتطاعات بشكل شهري على مدار العام وتعلن عنها رسمياً، وبالتزامن مع تلك الاقتطاعات، تواكب حكومة الاحتلال تأثير تلك الاقتطاعات على استقرار السلطة الفلسطينية المالي، بحيث لا تلحق بها الضرر أو تقودها إلى الانهيار، ولعل ما يعزز ذلك، ما كشفته صحيفة «يسرائيل هيوم» في منتصف تموز عن «صندوق سري» خارج موازنة الحكومة الإسرائيلية مهمته تحويل الأموال إلى السلطة الفلسطينية، ويدار من الإدارة المدنية وجهات أمنية مع وزارة المالية، وذلك لدعم التعاون الأمني والمدني بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية.

وإذا كانت كلمة «المقاصة» أقرب إلى المصطلح المحاسبي، فإن الاقتطاعات الإسرائيلية تتم بشكل أحادي، ولا تستند إلى أي اتفاق، وتعتبر إسرائيل أن لها الحق في ذلك، وفق ما ورد في اتفاقية باريس، وهو ما ترفضه السلطة الفلسطينية، وتعتبره سرقة لأموالها، وتعتبر أن إسرائيل تتعامل مع الاتفاقية بانتقائية، فهي تأخذ ما يناسبها منها، وتتجاهل ما لا يناسبها.

> وضعت إسرائيل قواعد كثيرة على هذا الصعيد، فأصبحت تقتطع وتخصم بذرائع واهية، الكثير من المبالغ

وتقتطع إسرائيل أموالاً من المقاصة في أكثر من مناسبة كأداة لابتزاز السلطة الفلسطينية، وتراوحت ما بين تجميد تحويل الأموال أو استقطاع أجزاء منها وبدأت هذه العملية لشهر واحد فقط بين آب وأيلول 1997، وعادت إسرائيل لتجميد المقاصة مع اندلاع انتفاضة الأقصى ما بين كانون الأول 2000 وكانون الأول 2002، وتكررت الحالة ما بين آذار 2006 وكانون الأول 2007، بعد فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية وتشكيل حركة حماس للحكومة العاشرة.

وعادت إسرائيل لنفس السياسة في تشرين الثاني 2011 مع المساعي الفلسطينية لنيل اعتراف دبلوماسي من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وكررت نفس الابتزاز في كانون الأول 2013 مع نجاح المساعي الفلسطينية في الحصول على صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة، وكذلك في كانون الأول 2014 – نيسان 2015 مع توجه السلطة إلى الانضمام لمحكمة الجنايات الدولية.

وفي شباط 2019، رفضت السلطة تسلّم إيرادات المقاصة بعد قيام الاحتلال باستقطاع مبالغ مالية منها، بقيمة ما تقدمه السلطة لعائلات الشهداء والأسرى والجرحى، حيث استمر الرفض حتى كانون الأول، وعادت السلطة لرفض تسلم إيرادات المقاصة في أيار – تشرين الثاني 2020 بعد قرار الرئيس وقف أشكال التنسيق مع الاحتلال المدني والأمني.

كما قامت سلطات الاحتلال باقتطاعات مختلفة من أموال المقاصة على ملفات عديدة، منها اقتطاع ما قيمته نصف مليون شيكل (142 ألف دولار) من أموال المقاصة تنفيذاً لقرار المحكمة العليا الإسرائيلية، القاضي بتعويض عدد من «العملاء» ممن تعرضوا للتعذيب في سجون السلطة الفلسطينية خلال الفترة الممتدة من العام 1997 وحتى العام 2002، قبل أن يتمكنوا من الفرار من سجون السلطة عقب الاجتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية خلال الانتفاضة الثانية.

من جانبه، يقول مدير البحوث في معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس) رامي مرار، لـ«الأخبار»، إن أموال المقاصة تحوّلت إلى أداة ابتزاز ومقصلة بيد إسرائيل ضد السلطة، في وقت فشلت الحكومات المتعاقبة خلال السنوات الماضية من خلق بديل للمقاصة، التي بقيت تشكل ما بين 65 – 70 % من إيراداتها، ما أبقى على هشاشة الواقع الاقتصادي الفلسطيني، تقطع منها متى تشاء على ما أرادت من قضايا سواء قضايا الأسرى وأحياناً الكهرباء والمياه. ويلفت إلى أن السلطة عندما حاولت رفض استلام المقاصة بعد سن الاحتلال قانون الأسرى، استمرت لسبعة شهور، لكنها لم تتمكن من الاستمرار أكثر من ذلك، ونزلت عن الشجرة واستقبلت الحكومة الأموال مع وجود الاقتطاعات من أموال المقاصة والتي تقدّر بين 50 – 52 مليون شيكل شهرياً. ويشير رباح إلى إنه «من دون وجود بديل محلي أو من الاقتصاد الفلسطيني أو من الضرائب المباشرة فإن الاعتماد على المقاصة مشكلة لا مفر منها بالنسبة للسلطة»، مضيفاً: «يبدو هناك ارتياح لدى صانع القرار لدينا بالنسبة للضرائب كونها مصدر دخل يوفر جزءاً من الميزانية، ولم الحظ أي إجراءات قامت بها الحكومة لتقليل الاعتماد على المقاصة، لأن كل السياسات الاقتصادية غير فعالة». ويتابع: «لا توجد حلول سحرية لدى السلطة، فهي مكبلة باتفاق باريس وأوسلو، وهناك اعتماد مباشر من قبل السلطة عليها طيلة عشرين سنة مع غياب سياسات ناجعة لديها»، و«إذا أرادت السلطة إيجاد الوسائل البديلة، فهي بحاجة لسياسات تنموية وتشجيع القطاع الخاص، الصناعي والزراعي والحد من الاستيراد وهي سياسات بحاجة إلى دعم حكومي وسنوات من العمل والمراكمة». ويرى رباح أن أموال المقاصة تُصرف في الموازنة التشغيلية للحكومة والسلطة، بالتالي فإن الاقتصادي الفلسطيني، تقطع منها الموازنة التطويرية لا يتم صرف أي أموال بها، وهي توضع في الموازنة العامة عند إعدادها كشكل ليس إلا».

أهل الأرض

رزان زعيتر: نحن «مقاومة خضراء»

حنين رياح

تجلس المشكلات البيئة على رصيف الاهتمام في العالم العربي، إذ لا تضع الحكومات تلك القضايا في ذيل أولوياتها، وهي التي تغرق بأزمات اقتصادية وسياسية لم تسعفها حياة أجيال لحلها. بحسب رزان زعيتر، وهي رئيسة الشبكة العربية للسيادة على الغذاء، فإن «الحكومات العربية لا تمتلك قراراً سياسياً مستقلاً، لذا، ليس من الصدفة أن نجد الزراعة، التي هي أوّل ملامح الاستقرار الحضاري والسيادي مهمّشة، لأن ذلك هو النتاج الحقيقي لواقع الإملاءات الخارجية والفساد والمصالح». وترى زعيتر، التي التقت بها «الأخبار»، أن الاستعمار خطط لهدم الاكتفاء الذاتي لدى الدول المستعمَرة وسعى للسيطرة على الغذاء، وذلك ما صرّح به وزير الخارجية الأميركي السابق هنري كيسنجر ذات يوم بقوله: «سيطر على النفط إذا أردت السيطرة على الدول، وسيطر على الغذاء إذا أردت السيطرة على الشعوب».

تشير الإحصاءات إلى أن العالم العربي يتقدّم دول العالم في استيراد الغذاء والسعرات الحرارية، ويتقدّم العالم في التأثر بأي أزمات دولية.

وتشكّل فلسطين مثالاً صارخاً وحيّاً على هيمنة الاحتلال على الأراضي الزراعية، هناك، يستغل الاحتلال قانوناً قديماً وضعه الاحتلال العثماني لتشجيع السكان على الزراعة، بهدف تحصيل الضرائب منهم، على أن تنقل ملكية الأراضي التي لم يزرعها مالكوها خلال ثلاثة أعوام متواصلة، لسلطات الانتداب، هذا القانون المتقادم، وظّفه الاحتلال الإسرائيلي لسرقة الأراضي الفلسطينية. وشكّل ذلك مدخل زعيتر في مجال حماية البيئة؛ فالاحتلال يمارس دوراً تدميراً ممنهجاً تجاه الزراعة، عبر قلع الأشجار وهدم الآبار ومنع المياه عن الأراضي الخصبة، إذ وصل معدل اقتلاع الأشجار في إحدى السنوات، إلى شجرة في كل دقيقة.

تذكر زعيتر في السياق ذاته أن «القطاع الزراعي كان مستهدفاً بشكل واضح في الحربين الأخيرتين على غزة. يقصفون مزارع الدجاج والبقر وخلايا النحل وخزانات المياه، هناك حملة ممنهجة على الغذاء». استهداف تحرص عليه إسرائيل، على الرغم من أنه يكلفها موازنات عسكرية كبيرة، ففي أحيان كثيرة، تتجاوز تكلفة إقلاع الطائرات الحربية والقنابل المستخدمة، قيمة ما هو مزروع في الأرض المستهدفة. توضح زعيتر أن العدو يرى أنه «بحال تضاعفت القدرة على الإنتاج الذاتي للغذاء في غزة، فإن ذلك يزيد من استقرار بيئة المقاومة واستقلاليتها وبالتالي زيادة صلابتها وصمودها».

من هنا بدأت «الجمعية العربية لحماية الطبيعة» التي تترأسها زعتير بدعم القطاع الزراعي في الأراضي الفلسطينية. ونظمت في هذا السياق «حملة المليون شجرة»، التي بدأت عام 2001، واستهدفت بالدرجة الأولى المنطقة (ج) غير المزروعة من الضفة الغربية، وذلك منعاً لمصادرتها بحسب القانون الإسرائيلي.

تخطى عدد الأشجار المزروعة في الأراضي الفلسطينية الثلاثة ملايين شجرة في هذا البرنامج، لكن هذا الإنجاز اعترضته كثير من الصعوبات، فالعمل في هذه المناطق طارد للممولين الدوليين، لذا اعتمد البرنامج على تمويل الجمعيات المحلية. ذلك إضافة إلى سيطرة إسرائيل على الموارد الأساسية، والحد من كمية المياه الممكن استخدامها من قبل الفلسطينيين، فبحسب «منظمة العفو الدولية»، فإن الإسرائيلي يحصل على 4 أضعاف كمية المياه التي يحصل عليها الفلسطيني.

في المقابل، ثمة تضييق كبير تمارسه المنظمات الصهيونية التي واجهت الحملة عبر جمع سبعة ملايين دولار من المتبرعين الصهاينة لإجهاضها، تقول زعيتر: «الجانب الإسرائيلي أرسل تانياً للحكومة الأردنية بسبب عمل الجمعية. وهذا دليل أن أعمالنا تخيفهم، وليست مجرد زراعة أشجار، لذلك أصبحنا نسمي أنفسنا المقاومة الخضراء». تواصل: «هذه المشاريع تتضمن شبكات ري وشبكات صيد وخلايا نحل ومزارع دواجن، إضافة إلى استفادة الآف المزارعين».

ويكمن الخطر في أن عدم الاستفادة من الأراضي الزراعية والموارد الطبيعية، يزيد من فرص سيطرة الاحتلال على كل منابع المياه الموجودة في تلك المناطق المهجورة، فيما تمثل أراضي غور الأردن 25% من المخزون المائي، كما أن الأردنيين لن يكونوا بمنأى عن انعكاسات الخطوات الإسرائيلية، فغور الأردن يشكل السلة الغذائية للبلاد، وتشهد أراضيه، بحسب زعيتر، «تسريباً للأراضي وصفقات بيع مشبوهة مع غياب الرقابة الحكومية والدعم»، ناهيك عن الاستهداف الإسرائيلي لهذه الأراضي عبر الحرائق المفتعلة.

تعتبر زعيتر أن السيادة على الغذاء مفهوم سياسي قبل أن يكون اقتصادياً، وهو سلاح يمكن أن يستخدمه الفلسطيني بشكل فعّال في صراعه مع العدو، لكن السلطة الفلسطينية التي «تستورد 95% من حاجتها من القمح»، أبعد ما تكون عن ممارسة هذا الدور.

في خلاصة الأمر، تعمل الجمعية العربية بلحمها الحي، فهي لا تقبل التمويل الأوروبي، لأنها تجد أن التمويل هو واحد من أدوات الاستعمار المستخدمة في تدجين وعي السكان وتطبيق البرامج التي تتنافى مع هوى الممول ثقافياً واجتماعياً، بمعزل عما يحتاجه السكان لدعم صمودهم وتمكين اقتصادهم.

1967، ظهرت ملامح الفصل المادي بين مناطق 67 ومناطق 48، حيث فرض هذا الجدار منعاً شبه كلي، وتعرضت العمالة الفلسطينية لنكسة كبرى، فاثر التوقف عن العمل في حياة مئات الآلاف من الأسر الفلسطينية، في حين وقفت السلطة الفلسطينية عاجزة عن تحمل مسؤولياتها تجاه العمّال.

السلام الاقتصادي يطل برأسه

مع انسداد أفق «السلام»، واتفاقيات التطبيع العربية، بدأت منذ سنتين ملامح الحل المطروح على الطاولة؛ الحل الاقتصادي الذي يقوم في صلبه على سلسلة من الإجراءات الاحتلالية، «التسهيلات المعيشية»، التي تتعلق بتنظيم العمالة الفلسطينية. ومنذ ذلك الوقت، وسلطات الاحتلال تسعى في إنشاء تصور عملي، لاستيعاب العمالة الفلسطينية الوافدة، التي هي أصلاً حاجة ملحة للسوق الإسرائيلية، وذلك عبر زيادة تصاريح العمل التي تعدت اليوم 150 ألف تصريح، لمن هم فوق الخامسة والخمسين من عمرهم، حيث سمحت لهذه الفئة بالعمل من دون تصريح، ولا يوجد إحصاء دقيق لهذه الشريحة، إضافة إلى وجود آلاف العمّال لا يملكون تصاريح عمل.

عام 1936، مع قيام الثورة الكبرى ضد الاحتلال البريطاني، لعب العامل الفلسطيني دوراً مركزياً في هذه الثورة عبر انخراطه في إضراب استمر ستة أشهر متواصلة، كان الركيزة الأولى لزعزعة الاحتلال البريطاني. وصف الإضراب بالتاريخي، عبّر عن أصالة العامل الفلسطيني وتجذّره في الأرض، وهو الذي اكتوى بنار هيمنة الاحتلال على الأراضي الزراعية، هناك، يستغل الاحتلال قانوناً قديماً وضعه الاحتلال العثماني لتشجيع السكان على الزراعة، بهدف تحصيل الضرائب منهم، على أن تنقل ملكية الأراضي التي لم يزرعها مالكوها خلال ثلاثة أعوام متواصلة، لسلطات الانتداب، هذا القانون المتقادم، وظّفه الاحتلال الإسرائيلي لسرقة الأراضي الفلسطينية. وشكّل ذلك مدخل زعيتر في مجال حماية البيئة؛ فالاحتلال يمارس دوراً تدميراً ممنهجاً تجاه الزراعة، عبر قلع الأشجار وهدم الآبار ومنع المياه عن الأراضي الخصبة، إذ وصل معدل اقتلاع الأشجار في إحدى السنوات، إلى شجرة في كل دقيقة.

تذكر زعيتر في السياق ذاته أن «القطاع الزراعي كان مستهدفاً بشكل واضح في الحربين الأخيرتين على غزة. يقصفون مزارع الدجاج والبقر وخلايا النحل وخزانات المياه، هناك حملة ممنهجة

البلاد

شتات

بيرة بمذاق الثورة

برشلونة - **روان الباشا**

في أمسية صيفية، خرجت من منزلي متّجهة نحو البحر، وكعادتي كنت أبحث عنّي على الجدران العتيقة، شيشة على الحائط و«زرياب» مكتوبة بالعربية كان كفيلاً بأن أجدني. دخلت المطعم، فاستقبلتني لوحة العرس الفلسطيني، وفتاة بهيّة الوجه تقف خلف البار، أنا كيت، كيف أخدمك؟

هل أنت فلسطينية، بادرتها بالسؤال؟ فتبسّمت وعرفت من سؤالي فوراً بأني فلسطينية، وبدأت الحكاية.

«اسمي كيت بورتن، أنا بلجيكية الأصل، وأهلي من إنكلترا» حدّثتني بلغة عربية ولهجة فلسطينية، فحفزت إجابتها لديّ أسئلة أخرى، كما أن ملامح بلدي الموجودة على جدران المطعم، كلوحة معلّقة على الحائط كتب عليها باللغة الإنكليزية «Visit Palestine» زادت من رغبتي بمعرفة كيت. لقد أخذتني من قلبي حين بدأت بسرد الحكاية.

بدأت كيت حديثها عن مشروعها «Ziryab shush lounge»، مكان تظهر فيه حضارات حوض المتوسط من مشرقه ومغربه، حيث يقدّم المطعم مأكولات عربية وغربية، فيأتي الناس إلى هنا ليستمتعوا بزيارة تلك البلدان من خلال أطباق تلك البلدان، ولاذيذ أنك تتذوّق فلسطين، وتراها حاضرة في قائمة المأكولات والمشاريب الخاصة بالمطعم.

لكن كيف حضرت فلسطين إلى قائمة طعامها، ومن أين لها باللهجة الفلسطينية، تخبرني كيت أنها درست الاقتصاد في لندن، لكنها لم تجد نفسها في هذا المجال، جنوب أفريقيا، ثم سمعت أشياء عن فلسطين، عن الوضع في فلسطين، وكنت دائماً أريد الذهاب إلى هناك، فتقدمت لوظيفة أعلن عنها في غزة، وقد حصلت على هذا العمل».

كان العمل الذي انخرطت فيه كيت ضمن مشروع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في عام 2004، لكن بسبب تفاقم الوضع الأمني في قطاع غزة، كان يتم نقل موظفي الأمم المتحدة إلى مدينة القدس، كلما ساءت الأوضاع هناك، تقول كيت «لم يعجبني ذلك لأني أردت أن أكون في غزة وأبقى فيها وأعمل هناك، فتركت الأمم المتحدة، وعملت مع مؤسسة أصغر اسمها الميزان لحقوق الإنسان، مديرها عصام يونس، وهو رجل عظيم والمؤسسة رائعة، تعمل في الحقوق الإنسانية والاقتصادية للشعب الفلسطيني في غزة». عملها الجديد حقق لها رغبتها بالعمل في غزة، لكن مسألة الحماية التي كانت متوفرة لها خلال عملها مع الأمم المتحدة لم تعد متوفرة. تعرضت كيت مع أمها وأبيها للخطف في عام 2005، ورغم احتجازها لثلاثة أيام، إلا أنها تتحدث عن الأمر بابتسامة، تدعو إلى الدهشة «كانوا مجموعة مراهقين أرادوا لفت الأنظار، لم يكن الخاطفون يعلمون أني ناشطة مع مؤسسة فلسطينية، ظنّوا بأننا أجانب، ويمكنهم المطالبة بما يريدون مقابل إطلاق سراحنا، لم يكن هناك ترتيب للاختطاف بل كان عشوائياً، كانت مطالبهم أن تجرى الانتخابات الفلسطينية في

> **تقول كيت: «أريد العودة إلى فلسطين، يمكنك أن تسألي أيّ أحد عمله في فلسطين، سيقول لك إن هذا المكان سيسكن قلبك»**

القدس، وإنهاء الاحتلال، بجميع الأحوال هذه القصة تم إغلاقها الآن، ففي الآخر عاملونا بشكل جيد جداً وقدموا لنا مسكن، هذا الطبق الفلسطيني اللذيذ. وللأمانة بعدما علم أهل غزة باختطافي، شعر المختطفون بإحراج شديد، فقد كان مذهلاً رد فعل الناس، إذ خرجوا إلى الشوارع للمطالبة بتحريرنا من أيدي الخاطفين». حادثة الاختطاف لم تحملها على ترك فلسطين، بل استمرت في عملها لمدة عامين مع المؤسسة نفسها، لكن في رام الله. غادرت فلسطين نحو أعمال إنسانية أخرى، منها مهمات في بغداد، لتتوقف بعدها، وتغادر المشرق العربي، وتستقر في إسبانيا منذ نحو عشر سنوات، وتفتتح في برشلونة مشروع «زرياب» لماذا زرياب؟ كان السؤال يحوم في رأسي، ومن دون أن أطرحه حدّثتني كيت «بداية لم أكن أعرف هذا الاسم، تعرفت عليه حين كنت أزور مكاناً اسمه زرياب في رام الله، دلّني صديق عليه، وبعدها حكى لي قصة زرياب الموسيقي العربي الذي ولد في العراق في القرن الثامن في بغداد، ثم أتى إلى الأندلس في القرن التاسع، وكان له تأثير كبير على حضارة الأندلس وثقافتها في حينها، فقد امتلك المعرفة في العديد من المجالات كالرياضيات والكيمياء والفلسفة، وقد استطاع أن يؤثر كثيراً في ثقافة الأندلس التي أصبحت جزءاً من الثقافة الإسبانية، ستجدين حتى الآن الكثير من الأمور التي تطورت بإثره وهي باقية حتى الآن. تأثرت جداً بقصته بعدما عرفتها، لقد المهتني في صناعة مشروعي، فأنا أريد كل من يعيش التجربة في زرياب أن يكتشف شيئاً جديداً وأن يحمل معه معلومة جديدة عن مكان حتى وإن لم يزره يوماً، لكن يستطيع أن يجربه وأن يعلم لو القليل عنه، حتى لو كان مجرد طعم مختلف، تماماً كالرحلة التي قطعها زرياب من المشرق إلى الغرب».

ابتدأت كيت مشروعها بافتتاح صالة الشيشة، وبعد ذلك توسع عملها ليشمل مطعماً أيضاً يحمل الاسم ذاته، عمدت كيت منذ افتتاحها مشروعها إلى أن يعمل فيه أشخاص الجامعيين، لم يكن بوسعنا سوى تنظيم التظاهرات المحلية الجامعية تضامناً، أو تنظيم الندوات. وعلى الرغم من أن سياسات الجامعات طالما ما تطرقت لوصف هذه الفعاليات على أنها حملات توعية لما يجري شرق المحيط الأطلسي، إلّا أنّ التسمية كانت دوماً واضحة لنا، هي إثباتٌ للوجود.

لا أظنّ أنّ أحدنا نظر يوماً إليها كحملات توعية، توعية لمن؟ لليسار الأميركي، الممثّل بجماعات ليبرالية تُخصّص المليارات للاحتلال؟ أم لليميني الذي يُهلّل لفوقية البيض على كل الفئات الأخرى؟

نحن لم نكن نخرج للتوعية، نحن كنا نخرج لأننا من فلسطين، ومن يخرج معنا، يتظاهر من أجل فلسطين، ولنقول لأميركا، «أميركا هي الطاعون والطاعون أميركا».

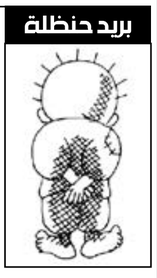

بريد حنظلة

يستوطنون كل شيء

سيّالك - **مهى خالد عبادي**

قبل سنوات، غادرت مخيم مار إلياس في بيروت إلى لندن فأميركا، لإتمام تعليمي الجامعي، لم أكن الفلسطينية الوحيدة في ترحالي، كنا كثراً. حملت مغادرتي المخيّم وبيروت فرصة للالتقاء بفلسطينيين من خلفيّات مغايرة عن تلك التي اعتدتها في المخيّم. وحملت هذه الفرصة لي ولغيري ممن غادرنا، أن نتعرّف إلى أبناء هويّتنا، باختلاف أوراقهم الثبوتيّة، واختلاف الجهات التي أصدرتها لهم: هوية خضراء أم زرقاء، جواز سفر أردني، وثيقة سوريّة، ولائحة طويلة من الأوراق الثبوتية، تتكشف أمورها مع كل فلسطيني جديد التقيه في الخارج.

تختلف هذه الأوراق الثبوتيّة، وتختلف معها حقوق حامليها بالسفر والتجوال، سواء الصادرة عن الأردن، لبنان، سوريا، أراضي الـ48، الضفة، غزة، القدس. بيننا أناس يستطيعون العيش في حيّ من أحياء القدس، ويُمنعون من زيارة حي آخر.

نتشارك الموسيقى، القصص، ونسهر على سماع قصصنا التي تتفرق في المكان وتلتقي في النتيجة، فكلنا نتشارك قصص المطارات والحدود، وكلنا نتشارك تعامل السلطات معنا، في الغالب التعامل ليس جيداً، وفي بعض الأحيان عنصري، قصصنا هي تكرار قصص أهلنا وأجدادنا.

تنتهي تلك السهرات بالانتباه إلى تفصيل غاية في الأهمية، بالنسبة إلينا نحن اللاجئين في سوريا ولبنان والأردن، أن المسافة بين بيروت وعكّا هي ذاتها تقريباً بين بيروت وطرابلس، ولا تقلّ كثيراً عن تلك التي تفصل دمشق عن طبريا.

في أميركا، تعرّفت إلى صديق من القدس، قال لي في مرة من المرات، بعفوية مفرطة، أن تقسيم المدن والشوارع هنا، يُشبه ذاك الذي في المستوطنات الصهيونية الحديثة البناء في القدس والضفة. ومنذ ذاك الحين، لم أستطع أن أرى ناطحات السحاب، إلا بوصفها أداة لتوصيف رأس المال المتطوّر، سوى كمستوطنات سرقت أرض السكان الأصليين، لتبني مدناً مزدحمة، تفوق فيها حقوق وفرص الرّجل الأبيض على سائر السّاكنين، مواطنين كانوا أم غير مواطنين.

تلخّص لي المشهد الاجتماعي والسياسي الأميركي، في دفتر مذكرات يوميّة اهدتني إيّاه مديرتي في العمل، وهو مقتبسٌ من كتاب ميشيل أوباما، عن قصة حياتها. هذا الدّفتر صفحات فارغة ليكتب فيها المرء أجوبةً عن أسئلةٍ تطرحها أوباما، لتساعد على التفريغ عن الكتابة، ومن هذه الأسئلة، صِف ما يعني لك البيت، وكيف تُعرّفه؟ أينَ

> **لم أستطع أن أرى ناطحات السحاب، إلا بوصفها أداة لتوصيف رأس المال المتطوّر، سوى كمستوطنات سرقت أرض السكان الأصليين**

اتخذت حياتك منحنى شكّلها على ما هي اليوم؟

سرحتُ كثيراً في هذه الأسئلة، قبل أن أستدرك أنّ دوري هنا، أمام هذا الدفتر، هو ليس أن أجيب عن أسئلته، بل أن أنتقدَ مجتمعاً يحتاجُ اليسار فيه لسردية بطوليّة.

فما هو البيت بالنّسبة لنا يا ميشيل؟ هل هو البيت، الذي دعم يسارك واليمين في بلادك، الحركة الصهيونيّة لتسرقه في حيفا؟ أم هو البيت القائم في المخيّم الّذي قطع يسارك واليمين عنه تمويل «الأونروا»؟

وماذا عن المنحنى الذي غيّر لي مجرى حياتي؟ أهو والدتي بهويّة زرقاء في مستشفى تقع بمخيّم؟ أم هو مغادرتي المخيّم، بحثاً عن فرص في بلادٍ لم أعرف تحدّث لغتها بطلاقة؟ أم أنّه ديناميكيّة الأوراق التعريفيّة الفلسطينيّة التي فرضت علينا، نحن الذين لا تذكرة عودة واضحة لهم، من مطار واشنطن أو شيكاغو أو نيويورك.

استراتيجيّات متعدّدة للممارسة الفلسطينيّة، تتبلور في أطر متعددة، وتتّحد تحت منظور التضامن. لا شكّ أنّ وجودنا في هذه المستعمرات التي صارت ولايات، علّمنا أنّ الجوهرَ يكمُن في نُصرةِ المضطهَد أينما كان. لنجدّ العلمَ الفلسطينيّ مرفوعاً في أكبر تجمّع للعقد الأميركي الأخير، المندد بالعنصريّة المنهجيّة ضدّ السّود الأميركيّين.

علّمتنا هذه التجربة أنّ للفلسطينيين شركاء كُثُر في معركتهم ضدّ الاستعمار. ووجدنا أنّ مفتاح انتزاع الحريّة يكمن في القاطعيّة مع تحرر الشعوب، التي سلبتها أميركا سيادتها بأساليب متفاوتة كفنزويلا وكوبا، وأرسلت لها على متن سفن وطائرات وسفارات، من هو البيت القائم في المخيّم الّذي يقمع شعوبها في الدول المجاورة للكيان الصهيوني الذي دعمت قيامه.

وعلى ذلك، تداركنا أنّ الحياد في قضايا القمع الاستعماري جريمة. سهرنا لمتابعة الأخبار في غزة والقدس والضفة والأراضي الفلسطينية المحتلة، من خلف الشاشات. وبالنّسبة للتلاميذ الجامعيين، لم يكن بوسعنا سوى تنظيم التظاهرات المحليّة الجامعيّة تضامناً، أو تنظيم الندوات. وعلى الرّغم من أنّ سياسات الجامعات طالما ما تطرقت لوصف هذه الفعاليّات على أنّها حملات توعية لما يجري شرق المحيط الأطلسي، إلّا أنّ التسمية كانت دوماً واضحة لنا، هي إثباتٌ للوجود.

لا أظنّ أنّ أحدنا نظر يوماً إليها كحملات توعية، توعية لمن؟ لليسار الأميركي، الممثّل بجماعات ليبراليّة تُخصّص المليارات للاحتلال؟ أم لليميني الّذي يُهلّل لفوقيّة البيض على كل الفئات الأخرى؟

نحن لم نكن نخرج للتوعية، نحن كنا نخرج لأننا من فلسطين، ومن يخرج معنا، يتظاهر من أجل فلسطين، ولنقول لأميركا، «أميركا هي الطاعون والطاعون أميركا».

وجهة نظر

الانعزاليّة الفلسطينيّة تُقرقع رأسنا عند كلّ معركة

محمد قعدان

بعدَ كلّ جولة عسكريّة تقودها إسرائيل، على قطعة من جنوبيّ فلسطين، غزّة وقضائها، ما تسمّيه إسرائيل اليوم «قطاعَ غزّة»، يطلّ علينا المغامرون الإنسانويّون «المنافحون وحدهم» عن آلام غزّة. الباحثون عن رفعةٍ أخلاقويّة، لاعتباراتٍ منها أقربُ إلى العمالة، ومنها إلى الجهالة، وجلّهم يبحثون عن شرفٍ «العقلانيّة» في ظلّ الحروب غير المتكافئة.

هل واضحٌ من أقصد؟ جميعكم الآن تتخيّلون شخصاً أو موقفاً أو حزباً، صحيح؟

أنا من عندي لا أجد في هؤلاء حكمةً ولا أعتبرُ رأيهم في هذا الصدد، إلّا كلاماً فارغاً يُقرقعُ رأسك. مقولة هؤلاء، تندرج تحت شعار أنّ غزّة الآن في محل الاستهداف وحدها، فيقولون على سبيل المثال أنّ «غزّة ليس عليها أن تُقاوم وحدها أو تُقتل أو تدفع الفاتورة وحدها» (كأنّ الفلسطينيّ في نابلس مثلاً يملك قراراً في ذلك)، ويلمزون حركات المُقاومة بطرقٍ مُحدثة ومن دون الركون إلى جانبِ الاحتلال. هذهِ حقائق، ولكنّها تأتي وتنظّم وتُسرد ضمن خطابٍ كسول، غير نقديّ، لا تسعى إلى حلٍ أو سبرِ طريق ومسار نضاليّ، لا يوجّهون كلاماً أو ممارسةً إلى الاحتلال مثلاً، بل يوجّهون ذلك لنا وعلى منصّات «الفايسبوك» وغيره، وكأنه يجب أن ننظر ونقرأ لفُحش الكلام هذا، في لحظاتٍ عصيبة يُقتل فيها الطفلُ وتُهدم بيوت وتُباد عائلات.

هذهِ التوجّهات تصدرُ عادةً عن أصحابِ الانعزاليّات الفلسطينيّة، مثلاً تجد مناصري «المواطنة» في الداخل أكثر المقرقعين، وعلى هذا قِس، مناصري «السلطة الفلسطينيّة» أيضاً ستجدهم يخزقونَ أذنيك في كلامهم الأجوف. وكلٌ على طريقتهِ ومن دون أن يُفسد عليك إحساس أنّك تقف أمام فدائيّ أو مثقّف أو صحافيّ أو فنانٌ تعجزُ الكلمات عن وصف «إبداعاتهم».

مرةً حدّثني صديقي عن أصحاب هذهِ الانعزاليّة في أيّام استهداف إسرائيل بالجازر والقتل والإبادة لمخيّمات أهلنا في لبنان، وعلت أصوات عن الانعزاليين، وهي قريبة ممّا يصدرُ اليوم عن البعض، أصحاب المسارات السياسيّة الانعزاليّة (نضال خلف، «الأخبار»، الانعزالية الفلسطينية: خنّاجر «يا وحدنا» 21 أيار 2022). وطبعاً هؤلاء يرونَ في هذهِ الممارسات الإسرائيليّة سبيلاً «للتفكير العقلانيّ» في قوّة إسرائيل وضعفها وقدرتها على كذا وكذا... إلى ماذا تُريد أن تصل؟ إلى منطق «كلّ منطقة أدرى في شعابها»، وهو طبعاً لا يقصد خيار المُقاومة ولو اتفق كلّ من في الأرض على خيار السلاح، فهو لن يقبل. فهو يستمع إلى صوتٍ خافت في غياهب سرداب لأسلحةٍ من الحرب العالميّة الأولى في غزّة مثلاً، قائلاً «الحلّ السلميّ السريع، ولا تُقحمونا في المُشكلات الكُبرى».

لأقرّب الصورة أكثر فأكثر، بعدَ أن استتبّ الأمر على إسرائيل في عام 1949، مخيّمات لجوء، محاذية، غزّة تحت الإدارة المصريّة والضفّة الغربيّة تحت الإدارة الأردنيّة، بالتالي، صنعت إسرائيل أربع حالاتٍ استعماريّة/سياسيّة للشعب الفلسطينيّ؛ فمن منهم وقع تحت الاستهداف المُباشر واليوميّ لمدّة 18 عاماً؟ مجموعة من 150 ألف فلسطينيّ تقريباً، في الأرض المحتلّة يومها، أخذت حصّتها الأكبر من المعاناة والقتل والعزل والاحتجازات الجماعيّة. وانفجرت هذهِ المجموعة في عدّة مراحل، منها عام 1958، في انتفاضات محليّة عديدة وأشدّها قوةً وبأساً في الناصرة وأم الفحم؛ ثمّ الانتفاضة الأكبر منذُ الاحتلال عام 1976، التي أطلق عليها يوم الأرض.

ماذا حدثَ بعد ذلك، كيف صمّمت القيادة السياسيّة روايتنا منذُ نهاية سبعينيات القرن الماضي؟

أولاً، تشبّثت في الانعزاليّة الفلسطينيّة، ووضعت حدود الجغرافيا للفعل السياسيّ، وعلى أننا نقود نضالنا وحدنا، ولا «تُقحمونا في المُشكلات الكبرى». إلّا كدعم خارجيّ لكم (منظمّة التحرير الفلسطينيّة).

ثانياً، خلقت برنامجاً وطنيّاً على أسس الواقع الاستعماريّ السياسيّ الذي خُلق على أثر النكبة. واقصد مسار المواطنة الكاملة والمساواة في الحقوق والواجبات ضمن «دولة تحقّق مصير اليهود، ولكنّها ديموقراطيّة يا شباب فلا تقلقوا ولا تحزنوا».

ثالثاً، ليسَ لأحدٍ من خارجِ هذهِ الجغرافيا السياسيّة أن يتحدّث في شأننا، فنعود للمقولة ذاتها، أنّ كلّ مجموعةٍ أدرى بشعابها.

ملاحظة أخيرة: هذهِ فقط تساؤلات عديدة وملاحظات حولَ الانعزاليّة وتكوينها وأصولها السياسيّ وتعبيراتها، ثمّ أتنى أؤكد مرةً أخرى بعضهم فقط تقودهُ اعتبارات عمّالة ولكن جلّهم «عقلانويّة وأخلاقويّة» مهترئة.

مهمّ تأطير هذهِ الأصوات وفهمها في سياقها التاريخيّ، لكي نعي مدى تأثيرها على وعينا الوطنيّ الجمعيّ، وهل بإمكاننا أن نُحرّب علينا مُنجزات حفرناها في أظافرنا أثناء اشتداد هبّة الكرامة في أيّار، «وحدة الساحات»، فلسطين من البحر للنهر، انخراط الهوامش الشعبيّة في النضال، استعادة الوعي في قدرتنا على تحرير أنفسنا ووطننا. تدمير المُنجزات الصغيرة المُتراكمة هو ما ستحققهُ هذهِ الأصوات ضمن دواعٍ أخلاقويّة، تشوّه حقيقة أنّه لا يهمّ ماذا تفعلُ أمام هذا العدوّ، من إعلانٌ سلمٍ أو حربٍ، لا يهمّ تنخلي عن حقوقك أو تتمسّك بها، سيبقى يُراقبك، يُطاردك ويجتهد لإخفاء وطن وإبادة شعب.

الأخبار
al-akhbar
السبت 27 آب 2022 العدد 4711

صورة وخبر

أمس الجمعة، انطلقت في مدينة لودفيغسبورغ فعاليات «مهرجان القرع» السنوي الذي يستمرّ لغاية الرابع من كانون الأوّل (ديسمبر) المقبل. يعرض المشاركون في الحدث محصولهم الذي حصد من جميع مزارع المدينة في حديقة في ولاية شمال الراين وستفاليا الألمانية، أمام الزوّار الذي يفوق عددهم عادةً الـ 200 ألف شخص. المهرجان عبارة عن ثلاثة أقسام رئيسية: الأوّل خاص بعرض المحصول وبيعه، فيما يخصّص الثاني للمنتجات المصنوعة من القرع، وتنظّم في الثالث مسابقات بين المزارعين المشاركين تتمثل في صناعة مجسّمات وأعمال فنية من اليقطين، ليحصل الفائز على جائزة قبل تتويج المزارع صاحب أكبر حبّة. (توماس كينزله ـ أف ب)

المفكرة

تبرّعوا بالدم إنقاذاً للعالم

■ بعد غياب ثلاث سنوات بسبب جائحة كورونا، تعود جمعية «من هو الحسين؟» لتنظيم حملتها العالمية السنوية للتبرّع بالدم في ذكرى عاشوراء. هذا العام، تختلف الحملة عن سابقاتها، إذ تسعى الجمعية لكسر رقم «غينيس» القياسي عبر جمع خمسين ألف وحدة دم حول العالم. أكثر من ستين بلداً حول العالم سيعمل فيها المتطوعون للوصول إلى هدفهم. وتحت عنوان «العالم يحتاج إلى دم»، تنطلق الجمعية صباح اليوم السبت لجمع وحدات الدم. يؤكد المنظّمون أنّ عنوان الحملة ينطلق من انخفاض أعداد المتبرعين بالدم بسبب الجائحة، رغم ازدياد الحاجة إليه. ومن هنا يأتي دور هذه الحملة علّها تسهم في سدّ حاجات المستشفيات. وكان هذا النشاط الإنساني قد بدأ قبل ست سنوات، لتتسع رقعته نظراً إلى إقبال الناس على العطاء، مع حماسة يبديها المتبرعون وتأكيدهم على ضرورة انتشار هذه الثقافة التي تعكس ما أراده الإمام الحسين في مسيرته. يشارك لبنان في هذه الحملة من خلال أربعة مراكز في مناطق مختلفة، سيستقبل فيها المتطوّعون المتبرعين من الحادية عشرة صباحاً حتى السادسة مساءً. وإلى جانب لبنان، تشمل الحملة فرنسا، بريطانيا، الولايات المتحدة، باكستان، الهند، إيران، العراق وغيرها.

حملة «من هو الحسين؟» للتبرّع بالدم: اليوم السبت ـ من الحادية عشرة صباحاً حتى السادسة مساءً ـ دوّار الشهداء في حارة حريك (ضاحية بيروت الجنوبية)، «كراون بلازا» في شارع الحمرا (بيروت)، طريق النبطية الرئيسي (جنوباً) ومستشفى جبل عامل في صور (جنوباً).

صابرين عند زاهي

■ يستضيف الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي، اليوم السبت في برنامج «بيت القصيد» الذي يقدّمه على «الميادين» الفنانة الفلسطينية صابرين كمال (الصورة) التي تتحدث عن دور الفن في ترسيخ الهوية الوطنية الفلسطينية ومواجهة محاولات الاحتلال الاسرائيلي سرقة الموروث الفني الفلسطيني والسطو على الذاكرة الجماعية. يتناول الحوار نشأة كمال وسط أسرة تعشق الفن والتراث الغنائي، ويتمتع أفرادها بأصوات جميلة، وكذلك تقديمها أغنية خاصة بالأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، فضلاً عن أغنياتها الرومانسية والعاطفية، وبعضها باللهجة اللبنانية، وإتقانها إلى جانب العربية الغناء بالإنكليزية. ويتطرق الحدث كذلك إلى تجربة صابرين مع برنامج البحث عن المواهب «أراب آيدول»، والتقديم التلفزيوني عبر شاشة «تلفزيون فلسطين».

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين».

من بيروت... تحية إلى غزّة

■ في السابع من أيلول (سبتمبر) المقبل، يحتضن

«مترو المدينة» (الحمرا) عرضاً موسيقياً بعنوان «إلى غزة... تحية من بيروت». وفيه، يقدّم الفنانون سلوى جرادات (غناء/ الصورة) وفرح قدّور (بزق) وزاهر حمادة (باص) ورفاييل حدّاد (كمنجة) وأيمن سليمان (إيقاع) ومجدي زين الدين (إيقاع) وأحمد الخطيب (إيقاع) مجموعة أغان «من فلسطين ولها، تحيةً من بيروت إلى غزّة التي صمدت وقاومت العدو الصهيوني وستظل تقاوم»، وفق النص التعريفي الخاص بالنشاط. علماً أنّ ريع السهرة المنتظرة يعود لدعم موسيقيين شباب تضرّروا جراء العدوان الصهيوني الأخير.

عرض إلى غزة... تحية من بيروت»: الأربعاء 7 أيلول ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

عودة مهرجان الحرش

■ بعد توقف لسنتين فرضته التطوّرات على الساحة اللبنانية وجائحة كورونا، يعود «مهرجان حرش بيروت» هذا العام بدورته السابعة في 10 و11 أيلول (سبتمبر) المقبل. يتضمن الحدث حفلات غنائية، عروض دمى، عروض حكواتي وأنشطة أخرى منوّعة مناسبة لجميع الأعمار. كما وستسبق المهرجان مجموعة من المواعيد الثقافية من 5 إلى 9 أيلول. الجدير بالذكر أنّ المهرجان هو من تنظيم «جمعية السبيل» بدعم من مدينة أفينيون الفرنسية وجمعية Djeliya Internatio-nale والسفارة الفرنسية في بيروت و«مؤسسة التعاون ـ لبنان» و«مركز الجنى».

مهرجان حرش بيروت: السبت والأحد 10 و11 أيلول ـ من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى العاشرة مساءً ـ «حرش بيروت». للاستعلام: 01/664647

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 27 آب 2022
العدد 4711 السنة السابعة عشرة
Samedi 27 AOÛT 2022 nº 4711 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

غرناطة العربية

لم يكن أحد يدرك العطر
المانيوليا المعتمة لبطنك.
لم يكن أحد يعلم أنّك كنت تعذّبين
عصفور حبّ بين الأسنان.
...
دوماً، دوماً: حديقة احتضاري،
جسدك الهارب دوماً،
دم شرايينك في فمي،
وها فمك بلا ألق لموتي.

* من قصيدة «غزليّة الحبّ المباغت»
لفدريكو غارثيا لوركا [ص. 4]

قرية «فوينتي فاكيروس» في غرناطة، مسقط رأس الشاعر الاسباني فدريكو غارثيا لوركا (وكالة غيتي)

حوار

مازن معروف: لا نفهم الواقع من دون المخيّلة

يكتب مازن معروف (1978) القصة كأنّه يبحث عن قصيدة غريبة، فالغرابة جزء من عالمه المتكوّن من ذاكرة طفولية. هكذا يرى الأشياء كأنها تخرج من الحرب بريئةً وعفوية، فلا تغيب الحرب عن أجواء مجموعته الجديدة «كيوم مشمس على دكّة الاحتياط» (دار هاشيت أنطوان/ نوفل)، فتحضر كأنّها شخصية أيضاً غريبة ولها ملامحها التي يتأمل فيها طويلاً. يجد وجوهاً وشخصيات وحيوانات لا تفارق مخيلته. مازن معروف شاعر وكاتب ومترجم فلسطيني ولد في بيروت عام 1978، يقيم اليوم في أيسلندا. أصدر ثلاث مجموعات شعرية («كأن حزننا خبز» ـ 2001، «الكاميرا لا تلتقط العصافير» ـ 2011، و«ملاك على حبل غسيل ـ 2012). بعد مجموعتيه القصصيتين «الجرذان التي لحست أذنَي بطل الكاراتيه» و«نكات للمسلحين» التي وصلت إلى القائمة الطويلة لجائزة «مان بوكر» الدولية عام 2019، ها هو يصدر مجموعته الثالثة وفي داخلها يعيش معروف مرة أخرى داخل أحداث فانتازية وواقعية في الوقت نفسه. في هذا الخط الفاصل بين واقعيتها وفانتازيتها، يطرح أسئلة مخفية عن وجودها كأنّه يريدها أن تقول ما تفكر به. في القصص، رغبة في رؤية الأشياء بنظرة مختلفة، كأننا ندخل الى حلم غريب، فنرى معنى ما مختلفاً: من البقرة العمياء التي ينزل من ثديها شوكولا إلى «سعدى» التي تصنع الكروشيه من خيوط الغيم والنبات، إلى الجثث والطلقات والرصاص. هنا مكانان يندمجان، الواقع والخيال، لكن أكثر من ذلك هو المعنى الذي يجعلنا نلاحق خيوط تداخلهما. الكتابة كما تقترح المجموعة، أكثر من محاولة سرد ما حدث، بل هي ذهاب واثق للاستماع الى همسات «حياة لا يحدث فيها شيء» كما هي عنوان القصة الأولى

تقديم وحوار **تغريد عبد العال**

■ ما سرّ ذهابك الى القصة، وخصوصاً بعد إصدار مجموعتين شعريتين. هل هو رحيل ما أم عودة إلى الشعر بطريقة أخرى؟

ـ قبل الشروع في كتابة «نكات للمسلحين»، لم أتوقع أن أخوض غمار القصة القصيرة يوماً ما. كنت أعتبر أن هذا الفن الكتابي استُحدث للفشلة، العاجزين عن كتابة الشعر أو الرواية، لذوي الخيال اللغوي القصير. غير أن ما حدث هو أنّ حقيبتي سُرقت في استوكهولم عام 2012، وكان فيها آخر مجموعاتي الشعرية، مكتوبة بخط اليد على دفتر صغير. كنت في صدد إرسالها إلى الناشر في غضون أيام. غير أنّ شخصاً لا أعرفه كان له رأي آخر. كنت جالساً برفقة اثنين من الشعراء العرب، في مقهى مواجه لمبنى الأكاديمية السويدية، حيث تجري مداولات جائزة نوبل للآداب. كنّا نتحدث بحماسة في السياسة والأدب والمنفى، كون ثلاثتنا (فلسطيني، عراقية وسوري)، بعيدين قسراً عن أوطاننا. تقدم من طاولتنا رجل ثلاثيني، أذكر أنه كان سميناً بعض الشيء، متوسط الطول، ذا شعر خفيف ووجه مدوّر، وقد بدا عليه الحذر. أخذ يذرع التراس خارج المقهى، وفي يده كيس بلاستيك كبير تقريباً فارغ. أذكر أنّ حسّي الأمني (أحد مكتسبات العيش في مدن مأزومة ومفتوحة على احتمال تفجُّر ما) نبّهني إلى أنّ شيئاً لا يبدو مريحاً في تصرف هذا الرجل. كان الوحيد الذي عبرَ بطاولتنا في ذلك اليوم. لاكتشف أنه تمكن بخفة مذهلة، ومثيرة للإعجاب والاستفزاز كذلك، من أن يختطف شنطتي المعلقة على ظهر الكرسي من دون أن يثير انتباه أيّ منا. لم أكتشف الأمر إلا حين بدأنا بتلك العصبية المعهودة، على المشاجرة من سيدفع الحساب. مشهد كوميدي، تُربك وغير مفهوم في آن، للسويديين والسياح. أتذكر أنني أمضيت المساء أبحث في عمق القامة المحيطة بالمقهى. كان الدفتر هو ما يعنيني من كل ما سُرق. وبعدما استسلمت لفكرة أنّ الدفتر قد يكون رمى في مكان بعيد، توجّهتُ إلى قسم الشرطة. استجوبني شرطي وشرطية، وأنذر أنّ شيئاً ما في الحكاية لم يرق لهما. «دفتر شعر؟»، سألاني. «نعم»، قلت. فصرفاني على الفور ثالثين إنهما سيتصلان بي إذا ما وجداه. لم أستطع كتابة الشعر من يومها. ومن باب الالتزام بما أعتقده في القصة القصيرة، فإنني اقتدتُ نفسي إلى ذلك الفن الكتابي مسلّماً بفشلي.

■ الفانتازيا جزء من عوالمك القصصية والشعرية، أو ربما نسمّيها الغرابة، ما دورها في تجربتك الكتابية؟ هل هي أساس للنظر الى الواقع أم هي لجوء الى الخيال للهرب منه؟

ـ أميل إلى الاعتقاد بأننا لا نستطيع فهم الواقع من دون المخيّلة. كما لا نستطيع فهم ذواتنا. المخيلة والموقف من العالم متلازمان لديّ. وأعني العالم بمقياس دائرتي الشخصية الذي بالكاد أجيد التعامل معه. أظن أنني ألجأ إلى المخيلة كما لو أنني أحمل جهازاً حساساً يتيح لي الإشارة إلى الواقع من دون تسميته، تتبُّعُه، محاولة تحريكه بفكرة. الكتابة بهذا المعنى هي نوع من السُبات، لدخول العالم نفسه، العالم الذي تمّتْ صناعة طباعك الأولى فيه. مشاعرك. وتجاربك، فتدخله الآن مستعيناً بأشياء لم تحدث. تلقيها فيه. كأنك تبدّل إحداثيته، فيما يصبح مرور الزمن فجائياً أكثر فأكثر مع العمر. المدهش أنّ علاقتنا بالزمن لا تختلف كثيراً عن علاقة أسلافنا به. يبدو أنّ ثمة خللاً كامناً في آلية تفكيرنا. توقّعنا. خلل إنساني جذاب بشكل ما. جميعنا نتوقع أن لا يمر الزمن، وإن بمنسوب من الوعي يختلف من شخص إلى آخر. نعيش بانتظار تلك اللحظة، حيث نستيقظ ذات صباح لنجد أن الزمن توقف. إنها إحدى فانتازيات الكتابة. اعتراض الواقع. استجوابه. هناك شيء غامض إنما مشوّق، كالسحر. ما الذي يتبقى من ذلك الماضي؟ هل هي الأوقات الكبيرة؟ الصغيرة؟ أم مزقٌ من نسخة كربونية عن ذاتك أنت نفسك؟ الفانتازيا تسمح لي بوضع أسس حياة موازية، أسس غير مكتملة، سرعان ما اتخلى عنها مكتفياً بعالم قلق، غير مكتمل، غير منجَز. إنها طريقتي في مواجهة الماضي. فما يمضي يمضي. بترك شيئاً فينا للاستهلاك ويدير ظهره لنا. كيف يمكنك أن توظّفي شيئاً لم يعد له وجود، وخصوصاً حينما تتعلق الكتابة بمدينة تأفل ملامحها بسرعة قياسية، وبشكل صادم، كبيروت. لا مفر إذاً من استعمال الخيال. عندما أعود بالذاكرة إلى الوراء، أجد أنّ فلسطين كانت أول تمرين على الخيال. كنا كأطفال ملزمين بتكوين صورتها عبر مصادر الصوت، صار أقوى، أكثر حدة وقدرة على الإرباك. فلا يكون لديك من خيار سوى أن تبقي المسافة أقرب قدر المستطاع. هكذا هي علاقتي بالحرب. لقد أثرتْ كتابة الخيال انطلاقاً من الحرب اللبنانية، بخليطها المحلي والأجنبي، كونها أول الأحداث – أكثرها هولاً ومرحاً كذلك – التي عايشتُها كطفل. ولإدراكي أنني لفترة من الزمن، سأعيش لصيقاً بهذا الالتباس الذي تركتْه الحرب في كطفل. لكني أدرك أيضاً أنه سيكون عليّ في وقت من الأوقات، أن أغلّف هذا الالتباس بمشغع. عنك. تلاحقنا الحرب لتدلّنا على مواطن الخراب فينا. أشعر بأنها محاولة للاعتذار. لمساعدتنا على ترميم ذواتنا، بمادة الحاضر، التي تختلف عن مادة الحرب. نحن على الأقل نحمل نوعين من المعجون الإنساني. تخيّلي أنك تسمعين صوتاً خافتاً، أشبه بأنين مزعج، تشعرين أول الأمر بأنك على وشك أن تفقدي عقلك، لكنك كلما ابتعدت عن مصدر الصوت، صار أقوى، أكثر حدة وقدرة على الإرباك. فلا يكون لديك من خيار سوى أن تبقي المسافة أقرب قدر المستطاع. هكذا هي علاقتي بالحرب. لقد أثرتْ كتابة الخيال انطلاقاً من الحرب اللبنانية، بخليطها المحلي والأجنبي، كونها أول الأحداث – أكثرها هولاً ومرحاً كذلك – التي عايشتُها كطفل. ولإدراكي أنني لفترة من الزمن، سأعيش لصيقاً بهذا الالتباس الذي تركتْه الحرب في كطفل. لكني أدرك أيضاً أنه سيكون عليّ في وقت من الأوقات، أن أغلّف هذا الالتباس بمشغع. والتقطُ أكثر إلى أزماتنا الراهنة التي تهدد العالم، والشديدة الميوعة.

■ أحياناً تفتح القصص الباب أمام تأويلات كثيرة بنهايات مفتوحة. وهنا نشعر بعوالم الشعر داخل القصة. قد يكون هذا ما أهدأ إياه الشعر؟

ـ يحق للقارئ استطلاع القصة بالشكل الذي يتناسب مع ميوله الأدبية. بالنسبة إليّ، فقد بدأتُ قارئاً للشعر. أحببتُ فتاةً في المدرسة ووجدتُ ضرورة لفهم ذلك الشعور بالانزعاج الذي تملّكني فجأة بدون أن أفهم أسبابه. كان شعوراً مربكاً. ووجدت متنفّسي في مجلّد ذي غلاف قديم لقصائد نزار قباني منذ أول دواوينه حتى أواخر السبعينيات. اكتسبتني تلك القراءة تحيّزاً لن يفارقني للغة البسيطة والمجاز الخادع والابتعاد عن البلاغة المصطنعة، مع توقفي عند دواوين محمود درويش وغيره من الشعراء المصريين والعراقيين، انتهاءً بالشعراء اللبنانيين وبعض من فلسطيني لبنان (سامر أبو هواش على سبيل المثال) ممن اقترحوا حساسية مؤثرة وموضوعات يومية، مدينية، وذاتية بدلالات شعرية حادة وبالغة العمق، كبسام حجار ويحيى جابر، ويوسف بزي، وفادي أبو خليل، وفادي طفيلي، وعناية جابر، إضافة إلى عباس بيضون، وبول شاوول، وعبده وازن، ووديع سعادة، ومحمد علي شمس الدين وغيرهم. لا نغفل كوكبة من الأسماء الجديدة آنذاك التي أطلقتها «دار الجديد». هؤلاء استوقفتني رؤياهم الشعرية، على اختلاف عمقها بين شاعر وآخر. لكني أجزم بأنهم ساعدوا في تكوين حساسية ما في الكتابة لديّ. غير أن تجربتي القصيرة مع الشعر كانت تدلّني على أنّ ثمة سياقاً قصصياً من خلال الصيرورة المستمرة وتغيّر الصورة وعلاقتها بالصورة التي تكونت كسابقتها في القصيدة. لم أكن أعرف لما أنا محكوم بهذا التحول؟ لكني كنت أدرك أنني أكتب بمنطق قصصي، الأمر الذي لم يكن يريحني. فهذا يعني أنني سأكتب يوماً ما القصة القصيرة (من باب فشلي كشاعر). أظن أن هذه الحساسية الشعرية هي ما نقلتْه معي إلى القصة وإن بمعالجات لغوية مختلفة الآن.

■ تأتي شخصياتك من بيروت، هل أضاف المكان الجديد أيسلندا شخصيات جديدة لك؟

ـ أجد أن الشخصيات التي عرفتُها في بيروت، بتكوينها الانفعالي والمأزوم، أقرب إلى الحقيقة الإنسانية. الحقيقة غير المُعالَجة، الحيوانية، الفجة. ما يجذبني فيها بعد كل تلك السنوات هو مَحَلّيتُها المستعرة، وإحساسها المتأهب، الممسوس بالأمل والمستعد للانقضاض على عمق الأشياء وتمزيقه. عندما أنظر إليها بعد كل تلك السنوات، فإني أتعرف فيها أيضاً إلى ملامح من نفسي. إننا نتحدث عملياً عن شارع، ذلك الذي عشتُ فيه. شارع واحد رئيسي تطوّقه شوارع أصغر أو أقل خطورة إذا جاز القول. وكان عليّ في الكثير من الأحيان التخفي أو ركن هويتي كفلسطيني أو لكنتي جانباً، مدفوعاً بخوف أجهله. خوف ظلّ لسنوات يغذي شعوراً بالغضب. خوف وغضب متلازمان الآن ومزعجان، ولا أعرف من أين ياتيان بالتحديد في كل مرة. قد يبدو مبتذلاً القول إنني بالكتابة، أحاول فهمهما. لكن ذلك جزء – وإن سطحيّ – من الحقيقة. في أيسلندا، ينصرف المأزومون إلى إدمان المخدرات أو الكحول أو الانتحار. أولئك الذين يفشلون في تطبيق آلية العالم السعيد بحسب غالياني الذي يقول «نحن ملزمون بفجوات في الذاكرة كطريقة عيش طبيعية». ففي مجتمع ينعم بأمن اجتماعي وتكنولوجي لافت، وحقوق كاملة للمرأة والطفل والمثليين والكويرز، ويتمتع أفراده بحرية السفر والعيش في أي مكان في العالم، ولا يملك جيشاً، فإن معدلات الانتحار العالية مثيرة للاهتمام. لكن لا أحد يتكلم عن الأمر حين يتم التطرق إلى «أسعد شعوب الأرض» أو «النظام المصرفي المثالي». كل هذه مجرد دعايات لا مكان لها على الواقع. فالنظام المصرفي الآيسلندي واحد من أكثر الأنظمة البنكية جشعاً في العالم، تمنح القروض للأفراد بفوائد رهيبة، فيما تحمّل الشركات الخاصة ديونها

> **عندما أعود بالذاكرة إلى الوراء، أجد أنّ فلسطين كانت أول تمرين على الخيال**

> **جذبتني الرواية المصورة لقدرتها على النفاذ إلى معضلات الإنسان المعاصر، عبر قصص مينيمالية، بالغة الدلالة والحساسية**

بعد إعلان إفلاسها وبموجب محاصصات، إلى الدولة لتتسرب هذه الديون في نهاية المطاف إلى المواطن. كما أن هناك قضايا البيئة واللاجئين الأوكرانيين الآن. مع ذلك، لا أجد نفسي منخرطاً في نقاشات الآيسلنديين حول أي من تلك الأزمات رغم اهتمامي بها. لقد نشأت في بيروت كفلسطيني، وأشعر بأنني اضطررت إلى مغادرة تلك المدينة من دون أن أفهم كيف يمكن أن يُعَدّ وجودي كفرد فيها امتداداً لسلوكيات فلسطينية على المستوى السياسي والعسكري سابقاً، أو كيف يمكن أن أصبح جزءاً من نزاع سياسي محلي لبناني – لبناني في أي لحظة. كيف يمكنني أن أفهم أياً من ذلك من دون الركون إلى شخصيات عرفتها، وعبر توريطها بالفانتازيا والكوابيس والفوضى؟

■ بالمناسبة، فإن عوالم القاص إدواردو غالياني حاضرة في قصصك، هل توافق؟ ومن غيره كان له التأثير على كتابتك؟

ـ تجذبني كثيراً كتابات غالياني. اكتشفتُ في السنوات الأخيرة أننا أكثر تعلقاً به من القارئ الأوروبي. هذا على الأقل ما تقترحه مكتبات المدن الأوروبية التي زرتها حتى الآن. ربما لأنه يحمل مدلولاً سياسيّاً يستفزّ فينا شعوراً نفتقده بالإنصاف، واهتماماً بعذابات الإنسان، وقسوته وطرائفه. لكني لا أجد أنّ لغاليانو صوتاً أدبياً فيّ. اهتممتُ في فترة ما بلوكليزيو، فرانك أوكونور، ماريو بينيديتي، فرانز كافكا، دينو بوزاتي، وأيضاً غابرييل غارسيا ماركيز، كما نادين غورداماير، فلانيري أوكونور، ليديا ديفيس، وإيمي هامبل. القصة الإسبانو – أميركية، اقترحتْ منذ أوائل القرن العشرين أشكالاً جديدة للمخيلة. هناك أيضاً غوغول الساحر وموباسان وتشيخوف طبعاً. لكني لا أخفي تأثري بالسينما والكوميكس. ولأكون دقيقاً، بالغرافيك نوفل (الرواية المصورة). تجذبني علاقتها بحرية الرأي في أميركا وكيف أنها استطاعت مواكبة التحولات السياسية الكبرى منذ أوائل القرن العشرين، كما إمكانياتها السردية في التطرق إلى أي موضوع، رغم أنها اتخذت في السنوات الأخيرة خطاً صحافياً أو سيرذاتياً، أحياناً بشكل لا يتفق وأسلوب رواد في هذا المجال، كجو ساكو وغي دبليل. أحب ويل إيزنر، كما أعمال دانييل كلاوس، كريس وير، ألن موور، جولي دوسيت، أليسون بخديل، وأدريان تومبيني. لكن أكثر ما يلفتني في هذه الأعمال هو قدرتها على النفاذ إلى معضلات الإنسان المعاصر، عبر قصص مينيمالية، بالغة الدلالة والحساسية. أعتبره نوعاً من الأدب، حيث تتشارك الصورة واللون واللغة، وأحياناً بشكل متساوٍ، مهمة السرد. تأثرتُ بالكوميكس منذ كنت في المرحلة الابتدائية. وتعرفت إليها عبر سلسلة «العملاق» التي كانت تصدر في بيروت. كنت أذهب كل خميس، موعد وصول العدد الجديد من مجلة «سوبرمان» أو «الوطواط» وأحياناً «السهم الأخضر» أو «الفانوس الأخضر» (بطلي المفضل)، إلى الدكانة القريبة من بيتنا، لقراءتها على الواقف، في حال لم تسنح لي فرصة سرقتها. عندما أفكر في الأمر الآن، لا أفهم لماذا اعتبر شخص ما، في بيروت، أن من الضروري إيصال هذه المجلات إلى حينا والأحياء الأخرى، حتى في أعتى أيام الاشتباكات وشح البنزين والخبز. حتى إنها كانت تحمل أسلوباً واحداً من أعظم رسامي الكوميكس ومؤسس شخصية «سابدرمان»، هو ستيف ديتكو، الذي فضّل الانزواء بعيداً عن الأضواء والصحافة والمعجبين في شقة فقيرة في نيويورك حتى وفاته.

■ يقول بورخيس: هناك قصص لكيبلنغ أو كونراد تتمتع بكثافة الرواية. بما أنّ هناك قصصاً في مجموعتك لها روح الرواية، هل تفكر في كتابة الرواية؟

ـ أعمل حالياً على نص سردي طويل. ربما يكون رواية.

■ ربما يبرز في السرد الفلسطيني ذلك البحث عن معنى أن تكون لاجئاً وتحمل في روحك سؤال الهوية. لم يكن ذلك واضحاً في المجموعة، رغم حضور الوطن والمكان وأحياناً اللجوء، فهل تخفف السرد من ذلك السؤال وانتقل الى منطقة أخرى تمثلتْ بالحكايا المنسية والهامشية؟

ـ أكتب انطلاقاً من حقيقة تلازمني طوال الوقت، هي أنني لاجئ فلسطيني. لكن هذا لا يفرض عليّ التمسّك بالأشكال التقليدية والمباشرة في السرد للتطرق إلى اللجوء والهوية والتحولات التي طرأت على مُعْنَيَيهما بعد أوسلو. هناك خصوصية للفلسطيني تتعلق بالمكان الذي نشأ فيه الفلسطيني بعد عام 1948 و1967. والمكان يمنحه مكتسبات ثقافية مختلفة باختلاف موقعه. فالفلسطيني اللاجئ في لبنان لا بد أن يختلف عن الفلسطيني الذي ولد و/ أو عاش في ألمانيا، أميركا اللاتينية، أو الولايات المتحدة على سبيل المثال. ينطبق الأمر كذلك على فلسطينيي الضفة وغزة وفلسطيني ما يعرف بأراضي عام 1948. جميعنا نحمل وعياً بالأسئلة الكبرى والمتعلقة بفلسطين. من يولد لاجئاً، يظل لاجئاً طوال حياته. وقد يصبح «سريع الإحساس بالإهانة» على حد قول بيتر بورك، وقد تتشوش علاقته الزمنية مع العالم. إلا أننا كفلسطينيين لا بد أن نتفاعل مع محيطنا ونكتسب بعداً ثقافياً يتعلق بمحلية المكان والبعد التاريخي والثقافي للمجتمع الذي نقيم فيه، من دون التخلي عن مبادئنا الإنسانية وحقوقنا السياسية. قصص هذه المجموعة هي من نتاج تجربتي الفردية كفلسطيني عاش في بيروت خارج المخيم، ضمن محيط محلي قلق. وهي قصص منبثقة من الواقع، وإن أتكأت بنسبة كبيرة أحياناً على المخيلة. وأنا مهتم بتفحص إنسانية هذا الفلسطيني والملامح الحياتية التي جعلته يتماهى، سلباً أو إيجاباً مع محيطه، إنما خارج حدود الثقافة السياسية المعهودة للهوية.

* المجموعة تحاول فقط تقديم أصوات هؤلاء الأطفال، وملامسة مخيّلتهم وإطلاق ما يفكرون به بشكل أوضح. هل القصة عند مازن معروف هي طريق للدخول في ذلك الطريق الشائك، خيال الطفولة؟

ـ إنها مجرد افتراضات أدبية إذا جاز القول. فنحن لا نعرف حقاً ماذا يدور في عقل الطفل. أو كيف يتطور وعيه بالأشياء.

مازن معروف: المجموعة نتاج تجربتي الفردية كفلسطيني عاش في بيروت خارج المخيم ضمن محيط محلي قلق

ترجمات

فدريكو غارثيا لوركا: تحيّة إلى شعراء غرناطة العرب

تاسطر لوركا (1898 ــ 1936). بسيرته المنشقّة حيّاً وزاده موته المأساويّ أسطرةً، حتّى صار مرجعيّة شعريّة ومسرحيّة عالميّة معروفة. حتّى من دون معرفة الخطوط العريضة لهذه السيرة. ولكنّ «ديوان التّماريت» (الصادر حديثاً بترجمة عربية عن «دار خطوط وظلال» عمان/الأردن ــ ترجمة رشيد وحتي) بالذّات يحتاج إلى تقديم وجيز يبسط حواضر تاليفه ويشرح عنوانه باقتضاب. ورد كثيراً في حكايات لوركا إلى اصدقائه. شفاها وكتابةً، أنه حدّ ذهب مرارا بين عامي 1931 و1935. فترة تاليف الديوان. من عمل شعريّ. تحيّة الى قدامى الشعراء العرب في إمارة غرناطة. اسماء «ديوان التّماريت». تيمّنا باسم بيت فرويّ وسط بستان في ملكيّة اسرته. حيث كتب اغلب غزليّات الكتاب وقصائده. احتفظ الشّاعر. عبر عنوان الكتاب وابوابه. بكلمات تعود كلّها الى اصول عربيّة من ديوان (تجميع مبوّب للقصائد. مكان لإدارة الدّولة. في البلاط الملكيّ او في جواراته). وتماريت (صيغة مبالغة للبستان المعطاء بالثّمار) الى «قصيدة» و«غزليّة» (شكلان شعريّان عربيّان وفارسيّان)

1. غزليّة الحبّ المباغت

لم يكن أحد يدرك العطر
المانيوليا المعتمة لبطنك.
لم يكن أحد يعلم أنّك كنت تعذّبين
عصفور حبّ بين الأسنان.

كانت ألف خيل فارسيّة تنام
في الباحة مع قمر جديدك
بينما كنت لأربع ليال أشدّ
خاصرتك، عدوّة الثّلج.

بين الجبس والياسمين، كانت نظرتك
غصناً شاحباً من البذور.
كنت اقتّش، كي أمنحك إيّاها، في صدري
عن رسائل العاج التي تقول دوماً،

دوماً، دوماً: حديقة احتضاري،
جسدك الهارب دوماً،
دم شرايينك في فمي،
وها فمك بلا ألق لموتي.

2. غزليّة الحضور الزّهيب

أريد للماء أن يبقى بلا مهد،
أريد للرّيح أن تبقى بلا أودية.

أريد لليل أن يبقى بلا عينين
وقلبي بلا زهرة الذّهب؛

للثّيران أن تحادث الأوراق الكبيرة
ولديدان الأرض أن تموت من الخَلَل؛

لأسنان الجمجمة أن تلمع
وللاصفرارات أن تغمر الحرير.

باستطاعتي أن أرى مبارزة اللّيل الجريح
يصارع ملتصقاً بالظّهيرة.

أقاوم غروب السّمّ الأخضر
والقسيّ المتكسّرة حيث يقاسي الزّمان.

لكن لا تضيئي عريك الضّافي
كصبّار أسود مفتوح في الأسل.

دعيني في قلق من الكواكب الغامضة
لكن لا تلقّنيني خاصرتك الطّريّة.

3. غزليّة الحبّ الخائب

اللّيل لا يريد القدوم
كي لا تأتي،
ولا كي أذهب.

لكنّي، أنا، سأذهب،
ولو أنّ شمس عقارب تأكل صدغي.

لكنّك، أنت، ستأتين
بلسان أحرقه مطر الملح.

النّهار لا يريد القدوم
كي لا تأتي،
ولا كي أذهب.

لكنّي، أنا، سأذهب،
مسلّماً العلاجيم قرنفلتي المعضعضة.

لكنّك، أنت، ستأتين
من خلال المجارير العكرة للعتمة.

لا اللّيل يريد القدوم ولا النّهار
كي أموت من أجلك
وكي تموتي من أجلي.

4. غزليّة الجذر المرّ

ثمّة جذر مرّ
وعالم بألف بلاط.

وحتّى اليد الأكثر صغراً لا
تستطيع تحطيم باب الماء.

إلى أين أنت ذاهبة، إلى أين، إلى أين؟
ثمّة سماء بألف نافذة
ــ معركة نحلات داكنات ــ
فثمّة جدر مرّ.

مرّ.
يؤذي بباطن القدم
داخل الرّأس،
كما يؤذي جذع اللّيل
الطّريّ الذي قطع توأ.

أيّها الحبّ، أي عدوّي،
إنّه يعضعض جذرك المرّ!

5. قصيدة طفل جرّحه الماء

أريد النّزول حتّى البئر،
أريد تسلّق أسوار غرناطة
كي أرى القلب وقد اخترقته
مسلّة المياه المعتمة.

كان الطّفل الجريح يئنّ
بإكليله الجليد.
كانت البرك، الخزّانات والفسقيّات
تشهر في الرّيح سيوفها.

أيّ، أيّ هياج للحبّ، أيّ حافّة جارحة،
أيّ وشوشة ليليّة، أيّ موت أبيض!
أيّ صحارى الق كانت تحفر
كثبان رمل الفجر!
كان الطّفل وحيداً
مع المدينة الرّاقدة في حنجرته.
انبثاق كان نابعاً من الحلم
كان يحميه من جوع الطّحالب.
الطّفل واحتضاره، وجهاً لوجه،
كانا مطرين أخضرين متشابكين.
كان الطّفل يتمدّد على الأرض
وكان احتضاره يتموّج.

أريد النّزول حتّى البئر،
أريد الموت موتتي نفخة نفخة،
أريد ملء قلبي زبداً،
كي أرى الطّفل الذي جرّحه الماء.

6. قصيدة الدّمع

أوصدت شرفتي
لأنّي لا أريد سماع الدّمع
لكن خلف الأسوار الرّماديّة
لا نسمع شيئاً آخر عدا الدّمع.

ثمّة ملائكة قليلون ينشدون،
ثمّة كلاب قليلون ينبحون،
ألف كمان طوع راحة يدي.

لكنّ الدّمع كلب عملاق،
الدّمع ملاك عملاق،
الدّمع كمان عملاق،
العبرات تشكم الرّيح،
ولا نسمع شيئاً آخر عدا الدّمع.

7. قصيدة الأفنان

تحت أشجار ثماريت
أتت كلاب رصاص
ترتجي سقوط الأفنان،
ترتجي أن تتكسّر لوحدها.

لثماريت شجرة تفّاح
بتفّاحة من نحيب.
بلبل يخمد زفرات
يبعدها تدرج بالغبار.

لكنّ للأفنان بهجتها،
الأفنان شبيهتنا.
لا تفكّر في المطر فتنام،
كما تفعل الأشجار، سريعاً.

جالسان والماء حتّى ركبهما
واديان ينتظران الخريف.
ظلّ باهت بخطوات فيل
كان يدفع الأفنان والجذوع.

تحت أشجار ثماريت
ثمّة أطفال كثر مقنّعو الوجه
ترتجي سقوط أفنانيّ،
ترتجي أن تتكسّر لوحدها.

8. قصيدة المرأة المضطجعة

أن أراك عارية، يعني: أن أتذكّر الأرض.
الأرض النّاعمة، المنخّلة من الخيول،
الأرض دون أسل، شكلاً دقيقاً
مقفلاً في المستقبل: تخوم فضّة.

أن أراك عارية، يعني: أن أستوعب قلق
المطر بحثاً عن ساقٍ هشّة،
حمّى البحر ذي الوجه الهائل
دون ملاقاة الق وجنته.

سيرنّ الدّم عبر المضاجع
وسباتي ممتشقاً سيفه المتمنع،
ولكنّك لن تعرفي أين يختبئ
قلب العلجوم ولا البنفسجة

بطنك صراع جذور،
شفتاك فجر بلا استدارة،
تحت الورود الدّافئة للفراش
يئنّ الموتى منتظرين دورهم.

9. قصيدة الحلم في الهواء الطّلق

زهرة ياسمين وثور ذبيح.
بلاط لا متناه. خريطة. قيثار. فجر.
البنيّة تتخيّل ثوراً من الياسمين
والثّور غسق دام يتضرّع.

لو كانت السّماء طفلاً صغيراً،
لكان للياسمين منتصف ليل معتم،
وللثّور سيرك أزرق بلا مصارعين
مع قلب عند قاعدة عمود.

لكنّ السّماء فيل
والياسمين ماء بلا دماء
والبنيّة باقة ليليّة
فوق البلاط المعتم الفسيح.

بين الياسمين والثّور
أنياب عاج أو أناس مضطجعون.
في الياسمين فيل وغيمات
وفي الثّور هيكل البنيّة العظميّ.

10. قصيدة اليد المستحيلة

أنا لا أريد شيئاً عدا يد،
يداً جريحة، إن أمكن.
أنا لا أريد شيئاً عدا يد،
ولو أنّي أمضيت ألف ليلة دون سرير.

ربّما كانت زنبقة شاحبة من جير،
ربّما كانت حمامة رست فوق قلبي
ربّما كانت الخفير الذي، ليلة عبوري،
قد يمنع، قطعاً، القمر من الدّخول.

أنا لا أريد شيئاً عدا هذه اليد،
من أجل الزّيوت اليوميّة والإزار الأبيض
لاحتضاري
أنا لا أريد شيئاً عدا هذه اليد،
كي أسند أحد جناحي موتي.

الباقي كلّه يمضي.
هي حمرة لا اسم لها، نجم دائم.
الباقي آخر؛ ريح حزينة،
بينما تهرب الأوراق أسراباً.

11. قصيدة الوردة

الوردة
لم تكن تبحث عن الفجر:
تكاد تكون أبديّة على فنّنها،
كانت تبحث عن شيء آخر.

الوردة
لم تكن تبحث عن معرفة ولا ظلّ:
تخوم شهوة وحلم،
كانت تبحث عن شيء آخر.

الوردة
لم تكن تبحث عن الوردة.
مستقرّة في السّماء
كانت تبحث عن شيء آخر

شذرات

فرناندو بسوا: أنا لستُ هنا (*)

شاعر اشتغل في وكالة تجاريّة للشّحن البحريّ. مترجماً مراسلات غالباً. غامض الأطوار. متقلّبها. مضطربها. هكذا يمكن تلخيص حياة فرناندو بسوا (1888 ـ 1935). فهذا الشّخص — الأشخاص — الأنطوانيّ الذي ادار ظهره للبرتغال بكاملها كان يخفي وجهه خلف نظّارات السّوداء الشّميكة واسمه خلف اغياره الـ 72. أوليس معنى Pessoa بالبرتغاليّة هو: شخص؟ وباللّاتينيّة قناع؟ ولد بسوّافي لشبونة سنة 1888. في الثّامنة من عمره. يرحل مع امّه — بعد موت ابيه وزواجها من دبلوماسيّ سيصير قنصلاً للبرتغال — إلى دربان في جنوب افريقيا. حيث ييسّر له تعلّم الإنكليزيّة حدّ كتابة الشّعر بها واجادته. في سنّ الثّامنة عشرة. يعود إلى لشبونة ولا يغادرها قطّ. ذائباً في زحمتها. مغمورا جاهلاً بذاته. قرا بنهم الرّمزيين الفرنسيين. الفلاسفة الالمان (خصوصاً نيتشه وشوبنهاور) والاشتراقيين الانغلوسكسون. لكنّ قراءاته لا تظهر ذات اثر في شعره. فيما خلا الكتاب اللّاتينيين. كتب في جميع الاجناس الادبيّة من دون استثناء. لكلماته الاخيرة على فراش الموت. في 1935. دلالة معبّرة. فهو في بحث دائم عن الاقنعة حتى في اخر دقائق حياته. اكان يخاتل الموت ويراوغه؟ قبل ان يلفظ انفاسه. صاح. في ما يشبه الدّحابة السّوداء. «ناولني نظاراتي». هنا مقتطفات من كتاب صادر حديثاً بعنوان «انا لست هنا» (دار خطوط وظلال. عمان/الاردن. ترجمة رشيد وحتي)

1. لا قيمة للمفارقة إلّا إذا لم تكن كذلك.

2. الأدب، كأيّ شكل فنّيّ، اعتراف بأنّ الحياة لا تكفي.

3. كلّ الفنّ شكل من أشكال الأدب، لأنّ كلّ الفنّ يتمثّل في قول شيء ما. ثمّة شكلان للقول: الحديث والصّمت. الفنون الّتي ليست أدباً إسقاطات لصمت معبّر.

4. العنصر الواقعيّ الوحيد، في الحياة، هو الإحساس. العنصر الواقعيّ الوحيد، في الفنّ، هو الوعي بالإحساس.

5. الفنّ، عموماً، تعبير متناغم عن وعينا بالأحاسيس. بعبارة أخرى، ينبغي أن يعبّر عن أحاسيسنا بحيث تبتكر شيئاً يصير، بالنّسبة إلى الآخرين، إحساساً.

6. مبادئ الفنّ هي:
أ. كلّ إحساس ينبغي أن يعبّر عنه بشكل كامل.
ب. ينبغي أن يعبّر عن الإحساس بحيث يستطيع الإيحاء.
ج. ينبغي للكلّ النّاتج عن ذلك أن يماثل، بقدر الإمكان، كياناً منظّماً: لن يحيا أبداً إلّا بهذا الشّرط.

7. الشاعر هو من يذهب يوماً فيما وراء ما يستطيع أن يفعل.

8. الشاعر الفحل يقول ما يحسّ به حقاً؛ الشاعر المتوسّط يقول ما قرّر أن يحسّ به والشاعر الأضعف يقول ما يظنّ أنّه يتوجّب عليه الإحساس به.

9. ثمّة أحياناً لذّة جماليّة في أن نترك — دون أن نعبّر عنه — انفعالاً، يستوجب مروره كلمات، يمرّ. لا حقّ لأيّ شاعر أن يقرض أبياتاً فقط لأنّه راغب في ذلك.

10. لا أهتمّ بالقوافي. ينذر أن تجد شجرتين متساويتين طولاً جنباً لجنب.

11. كشكل فنّيّ، أوثر النّثر على البيت الشّعريّ.

12. إنّ الخيال هو ما شكّلني. كي أسافر، أخذ دوماً بيدي. دوماً أحببت، كرهت، تكلّمت، فكّرت، بفضله. كلّ يوم، أنظر من خلال نافذتي. وكلّ ساعة — هكذا — تبدو رهن إشارتي.

13. يحدث لي أن أؤكّد بأنّ القصيدة شخص، كائن حيّ، بأنّها تنتسب، بحضور جسديّ ووجود شهوانيّ، إلى عالم آخر حيث يدفع بها خيالنا.

14. أن أبتكر بداخلي دولة، سياسة، أحزاباً، ثورات؛ وأن أكون كلّ هذا؛ أن أكون الله من خلال حلوله في كلّ كائنات هذا الشّعب-أنا، جوهر وفعل أجساده، أرواحه، الأرض الّتي يطؤونها والأفعال الّتي يقترفونها. أن أكون كلّ شيء، كلّ هذا ولا كلّ هذا. يا لي، أنا المسكين! هو ذا حلم آخر لا أستطيع تحقيقه.

15. هذا النّزوع لأن أختلق، من حولي، عالماً آخر — شبيهاً بالعالم الماثل أمامي — ولكن معفراً بسكان آخرين، لم يغادر أبداً مخيّلتي.

16. ما يحصل لي، في العمق، هو أنّني أجعل من الآخرين حلمي الخاصّ، خاضعاً لآرائهم كي أتملّكهم (بما أنّه لا رأي لي، فلم لا آخذ بآرائهم، أو بأيّ آراء أخرى)، كي أخضعهم لنزواتي وكي أجعل من شخصياتهم شيئاً ما شبيهاً بأحلامي.

17. هل هي عادتي في أن التقّ حول نفسي في روح الآخرين هي ما يدفعني لأن أرى نفسي كما يرانيّ الآخرون أو كما سيروننّي لو أعاروا لي أقلّ قدر من الاهتمام؟ نعم.

18. المادّة تسيء معاملتي كلّ يوم. حساسيّتي شعلة في مهبّ الرّيح.. أمي وسط أشباح معادية تفتّقت عن مخيّلتي المريضة الّتي ثبّتتها على شخصيات واقعيّة.

19. نعم، أن أحلم، مثلاً، في نفس الوقت وبانفصال، دون التباس، بأنّي رجل وامرأة نزهة يقومان بها على شطّ النّهر.

20. روحي أوركسترا سرّيّة؛ أجهل أيّ آلات أعزف عليها وأيّها يصرّ بداخلي. لا أعرف نفسي إلّا كسيمفونيّة.

21. أمرّ وها أنا هنا، كالكون.

22. ننام خلال الحياة، يا أبناء القدر الخالدين.

23. لم يصنع العالم لنفكّر فيه (التّفكير هو أن تألم العينان)، بل لننظر إليه بعين الرّضا...

بورتريه بسوا (أنا بالك فابيك)

24. لفّ العالم حول أصابعنا كخيط أو شريط تلعب به امرأة تحلم عند نافذتها.

25. حوالي نهاية مارس/ آذار (إذا لم تخنّي الدّائرة)، صرت وسيطاً روحانياً. أنهمكت في الكتابة الآليّة (الأوتوماتيكيّة).

26. أحياناً، بالليل، أطيق عينيّ وأرى، فيما يبدو لي، تجلّياً لمتواليّة من اللّوحات الصّغيرة، في لحظات خاطفة، ولكن بجلاء (بقدر جلاء العالم الخارجيّ)؛ ثمّة شخصيات غريبة، رسوم وعلامات رمزيّة، أعداد (سبق لي، أيضاً، أن رأيت أعداداً) إلخ. وأحياناً — في إحساس عجيب — يحدث لديّ انطباع بأنّي أنتسب إلى شيء آخر.

27. قضيت الشّهور الأخيرة في قضاء هذه الشّهور الأخيرة. لا شيء آخر، جدار من السّام تعتليه شقفات من الغضب.

28. روحي دوامة سوداء، دوار كبير حول الفراغ، شفط بحر بلا نهاية نحو حفرة في الفراغ؛ وفي هذه المياه، أو بالأحرى هذا الدّردور، ثمّة تطفو دوماً الصّور الّتي تيسّر لي أن أراها وأن أسمعها من خلال العالم.

29. مع الدّوار المادّيّ، يدور العالم الخارجيّ حولنا؛ أما مع الدّوار المعنويّ، فعالمنا الدّاخليّ هو الّذي يدور حولنا. حدث لي، ذات لحظة، انطباع فقدان الوعي بالرّوابط الحقيقيّة بين الأشياء، عدم الفهم ساعتها، الوقوع في هاوية من الفراغ الذّهنيّ. إنّه إحساس بشع، تصيبنا بهلع فائق الحدود. لقد صارت هذه الظّواهر مكرورة، ويبدو أنّها تختطّ لي طريقاً نحو حياة ذهنيّة جديدة، ستكون، بطبيعة الحال، جنوناً.

30. من جهة الطّبّ النّفسيّ، أنا مصاب بهستيريا الخور العصبيّ، ومن حسن الحظّ أنّ اختلالي العصبيّ واه، عنصر الخور العصبيّ يهيمن على العنصر الهستيريّ...

31. إحدى علل روحي — فظاعة لا تُقال — خوفي من الجنون، وهو ما يمكن إذاً اعتباره جنوناً. من المستحيل تعريف هذه الدّوافع النّفسيّة، بعضها إجراميّ، البعض الآخر أخرق، تؤذي، وهذا ما يعذّبني، لرغبة فظيعة في التّحرّك، تعضيل رهيب، إحساس في العضلات، يبدو لي الآن أكبر من أيّ وقت مضى، سواء بتواتره أو بعنفه.

32. يمكن للإنسان، إن كان بحقّ حكيماً، أن يستلذّ، جالساً على كرسيّ، بكلّ فرجة العالم، دون معرفة بالكتابة، دون الحديث مع أحد، دون أن يستعمل شيئاً آخر غير حواسّه، شريطة أن لا تكون روحه كدرة أبداً.

33. الإحساس بكلّ شيء، بجميع الطّرق.

34. حارس قطعان أنا، القطيع هو أفكاري، وأفكاري كلّها أحاسيس.

35. لا يهمّ إن أحسسنا بما نعبّر عنه: يكفي — بعد التّفكير فيه — أن نعرف كيف نتظاهر أنّنا أحسسنا به.

36. أبحث دوماً عن قول ما أحسّ به دون أن أقول لنفسي ما أحسّ به.

37. كلّ انفعال حقيقيّ كذب بالنّسبة إلى الذّكاء ما دام منفلتاً منه.

38. لا تطاوع ما تحسّ به أو ما تفكّر به عندما تكفّ عن الإحساس أو التّفكير به. عندئذ تستطيع استعمال حساسيتك لصالحك، ولصالح الجميع...

39. الجوهريّ هو أن نعرف أن نرى، أن نرى دون تفكير، أن نرى حين نرى، لا أن نفكّر حين نرى، ولا أن نرى حين نفكّر.

(*) من كتاب بالعنوان نفسه صدر حديثاً عن «دار خطوط وظلال»

بحث

ماهر الشريف: التحرّر تحت مجهر المثقّفين الفلسطينيّين

منى سكرية

في تموز الماضي، صدر عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» كتاب للمؤرّخ والباحث الفلسطيني ماهر الشريف بعنوان «مفهوم التحرر في منظار الثقافة النقدية الفلسطينية: 1948 - 1994»، وبكون بالتالي قد مضى على اتفاقية أوسلو 28 عاماً. استند الشريف في مساهمته البحثية هذه إلى مواقف وأفكار ثلّة من النخب الفلسطينية المثقفة، وتالت اسماء لامعة مثل ادوارد سعيد، هشام شرابي، أنيس الصايغ، غسان كنفاني، محمود درويش، إبراهيم أبو لغد، النصيب الأوسع في مضمون الكتاب، مع ترجيح أعلى لشرابي وسعيد. ثمة أسئلة نطرحها ليقيننا بمهارة الشريف البحثية وبسيرورة مؤلفاته، ومنها: ألم يكن بإمكانه استلحاق البحث بالتطرق إلى سنوات ما بعد أوسلو؟ أوَلم تُتِح الساحة الفلسطينية في عقود ما بعد أوسلو أعلاماً وأقلاماً ثقافية وفكرية لامعة يُعتدّ بها؟ ولماذا غابت مواقف لأسماء مفكرين من ميول فكرية غير علمانية، باعتبار أن الساحة الفلسطينية تتقاسمها اتجاهات شتى؟ لماذا لم يحضر باسل الأعرج المثقف الشهيد الذي اغتاله العدو الإسرائيلي عام 2017، ومثله نزار بنات المثقف الشهيد الذي اغتالته يد السلطة الفلسطينية الرسمية العاملة في خدمة العدو الإسرائيلي عام 2021؟ في حين لم يُذكر اسم منير شفيق إلا في سياق رد غاضب ملحوس عليه وبوصفه «المثقف الفلسطيني الإسلامي النزعة»!

يبرر الشريف «منهجه الوصفي» بالتنبيه إلى أن اختياره هذا لا يعني مطلقاً أن حقل الثقافة النقدية الفلسطينية اقتصر عليهم، لكنه يقول إنّهم «انتموا بصورة عامة إلى مشروع منظمة التحرير الفلسطينية، ولكنهم اتخذوا، وخصوصاً بعد التوصل إلى اتفاق أوسلو، مواقف نقدية من قيادتها وإزاء عملية السلام وتداعياتها. وكنت على معرفة جيدة بنتاجها في هذا المضمار». إذاً، هم ليسوا من مشارب متعددة طالما أن منظمة التحرير الفلسطينية لا تضمّ من كل المشارب الفلسطينية المتعددة، مع أملنا، ورغبتنا، في إصدار جزء ثان لهذه المساهمة البحثية في حقل الدراسات الثقافية التي يعتمدها المؤلف في إصداراته، فالساحة الفلسطينية تغلي، ولا تخلو!

في مقدمة الكتاب (220 صفحة مع خاتمة والمراجع وفهرست الأعلام)، أوضح الشريف «أن المثقف النقدي الذي أعنيه، هو ذاك الذي رفض أن يكون آلة في يد السلطان». ونقل عن قسطنطين زريق أن أوّل واجبات المفكر في أوقات الأزمات «أن يحسّ بالأزمة ويحياها، وأن يحدد تحت وطأة الأزمة التي يحياها فهمه لوظيفته التي تتمثّل في تبنّي الحق وتبنّيه». وهو ما تناوله الفصل الأول من الكتاب بعنوان «كيف تصوّر المثقف النقدي دوره المجتمعي وعلاقته بالسياسة». لنلحظ تباينًا في آراء المثقفين النقديين الفلسطينيين في شأن العلاقة التي ينبغي لها أن تقوم بين الثقافة والسياسة. انتقد فيصل دراج منظمة التحرير الفلسطينية، قائلاً: «في ممارساتها السياسية والثقافية، لم تطور ما هو حديث في الحياة السياسية والاجتماعية للشعب الفلسطيني، بل عاقت وهمّشت وحاصرت كل ما هو حديث». وميّز إدوارد سعيد المثقف بالقول إنّ «الصوت لا يمتلك رنيناً وصدى إلا عندما يربط نفسه بملء حريته بواقع حركة ما. وطموحات شعب ما، والسعي العام وراء مثال أعلى مشترك ما»، ليوجّه أنيس الصايغ نقده اللاذع إلى ما سمّاه «المثقف الفلسطيني الذي ركب موجة النضال أيام الثورة وليس ثوب المسالم أيام الاستسلام»، مؤكداً أنّ «كيان إسرائيل المزروع في بلدي سيظلّ سرطاناً خبيثاً».

بعد أوسلو، ظهرت حركة نسوية جديدة اعتمدت على التمويل الخارجي

وفي ظل هذا التباين، لم يمنع أن يحتوي مضمون الخطاب النقدي على ملامح بارزة في تشريح الواقع، فأكد هؤلاء على خصوصية الهوية الفلسطينية ودور الذاكرة في حفظها، وتعددية العناصر التي تكوّنها، وأيضاً في التركيز على جوهر الضعف الفلسطيني، وإعلاء شأن العمق العربي للثقافة الفلسطينية، والإيمان بأهمية التفاعل الحيّ بين الثقافات المتعددة، ولكن «مع حقنا في حماية ذاكرتنا الجماعية، وحقنا في سرد روايتنا التاريخية» كما قال محمود درويش.

ومن سبل بلوغ التحرر، دعوات للأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وتعظيم شأن الفعل الاجتماعي والأخلاقي، واعتماد العقل والعلم والتعليم الحديث (يعدّ إبراهيم أبو لغد واحداً من أبرز الذين انشغلوا بالتعليم الحديث بين صفوف النقديين الفلسطينيين، وقد عمل مع الدكتور علي الجرباوي وبالتعاون مع اليونسكو على وضع مناهج تعليمي وطني حديث).

في الفصل الرابع من الكتاب بعنوان «الصهيونية ومعاداة السامية، والتطبيع الثقافي في منظار المثقف النقدي»، لم يقصّر هؤلاء في فضح الصهيونية، وعنصريّتها، وتحالفها الوثيق مع الإمبريالية، فكشف إميل توما رئط القيادة الصهيونية بالتوراة «بعد رفضها عرض بريطانيا بالاستيطان في أوغندا لأنها لا تلهم الشعب اليهودي قوميّاً ودينياً». وتوافقَ في ذلك المتديّنون منهم والعلمانيون، فاعلن بن غوريون «الاشتراكي غير المتديّن، اكل لحم الخنزير أن التوراة هي وثيقة انتدابنا» (ص 144).

أما في مسالة التطبيع الثقافي، فنلحظ تبايناً في الآراء، لكن أنيس الصايغ كان الأكثر حدة في مقاربته لها، فرأى أنّ «التطبيع مرض، ووباء مُعدٍ تمتدّ سلبياته إلى عموم أنحاء الوطن العربي، وهو أخطر من الغزو العسكري».

ينهي الشريف مع الفصل الخامس حول الحل الذي تصوّره المثقف النقدي الفلسطيني للصراع الدائر على الأرض الفلسطينية، لنلحظ أيضاً تفاوتاً في الاقتراحات، ودوراناً في طابعها السلمي (!) وبخاصة أنّ أياً من هؤلاء لم يشر أو يقدّم تبنّياً للمقاومة المسلحة، لكن الصايغ يحسمها أيضاً بقوله: «لا تعايش إطلاقاً بين الحق العربي والشر الصهيوني في فلسطين» ومعها، صارت الحلول التي قدموها لا تبرح النظريات الثقافية/ الفكرية، لأن مع عدو صهيوني/ توراتي/ عنصري/ احتلالي/ إحلالي، إرهابي كهذا لن تنفع معه سوى محطات كالعام 2000 في لبنان، والعام 2006 في لبنان أيضاً، وما سبق وتلى هذه المحطات من مسيرة شعب فلسطيني أعلى الشهداء مرتبة الأحياء، كيف استطاع إدوارد سعيد المجيء إلى الحدود اللبنانية – الفلسطينية ليرمي حجره؟

عام 1987 مثل اتساع المساحة التي تتحرك ضمنها، لكن بعد أوسلو – تقول عبد الهادي – راحت تتشكّل حركة نسوية جديدة اعتمدت على التمويل الخارجي، واستبدلت المتطوعين بالموظفين، وركّزت على القضايا الاجتماعية على حساب القضايا الوطنية»، وهو ما أيّدته الباحثة يارا هواري بنقدها لمؤسسات المجتمع المدني بقولها إنّ «تمكين المرأة اقتصر على التمكين الاقتصادي، وليس على تمكينها من مقاومة الاحتلال ووضع رؤية لما بعد الاستعمار».

روين، ناقشت الجماعية، وحقنا في سرد روايتنا التاريخية» كما قال محمود درويش.

ومن سبل بلوغ التحرر، دعوات للأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وتعظيم شأن الفعل الاجتماعي والأخلاقي، واعتماد العقل والعلم والتعليم الحديث (يعدّ إبراهيم أبو لغد واحداً من أبرز الذين انشغلوا بالتعليم الحديث بين صفوف النقديين الفلسطينيين، وقد عمل مع الدكتور علي الجرباوي وبالتعاون مع اليونسكو على وضع مناهج تعليمي وطني حديث).

في الفصل الرابع من الكتاب بعنوان «الصهيونية ومعاداة السامية، والتطبيع الثقافي في منظار المثقف النقدي»، لم يقصّر هؤلاء في فضح الصهيونية، وعنصريّتها، وتحالفها الوثيق مع الإمبريالية، فكشف إميل توما رئط القيادة الصهيونية بالتوراة «بعد رفضها عرض بريطانيا بالاستيطان في أوغندا لأنها لا تلهم الشعب اليهودي قوميّاً ودينياً». وتوافقَ في ذلك المتديّنون منهم والعلمانيون، فاعلن بن غوريون «الاشتراكي غير المتديّن، اكل لحم الخنزير أن التوراة هي وثيقة انتدابنا» (ص 144).

أما في مسالة التطبيع الثقافي، فنلحظ تبايناً في الآراء، لكن أنيس الصايغ كان الأكثر حدة في مقاربته لها، فرأى أنّ «التطبيع مرض، ووباء مُعدٍ تمتدّ سلبياته إلى عموم أنحاء الوطن العربي، وهو أخطر من الغزو العسكري».

ينهي الشريف مع الفصل الخامس حول الحل الذي تصوّره المثقف النقدي الفلسطيني للصراع الدائر على الأرض الفلسطينية، لنلحظ أيضاً تفاوتاً في الاقتراحات، ودوراناً في طابعها السلمي (!) وبخاصة أنّ أياً من هؤلاء لم يشر أو يقدّم تبنّياً للمقاومة المسلحة، لكن الصايغ يحسمها أيضاً بقوله: «لا تعايش إطلاقاً بين الحق العربي والشر الصهيوني في فلسطين» ومعها، صارت الحلول التي قدموها لا تبرح النظريات الثقافية/ الفكرية، لأن مع عدو صهيوني/ توراتي/ عنصري/ احتلالي/ إحلالي، إرهابي كهذا لن تنفع معه سوى محطات كالعام 2000 في لبنان، والعام 2006 في لبنان أيضاً، وما سبق وتلى هذه المحطات من مسيرة شعب فلسطيني أعلى الشهداء مرتبة الأحياء، كيف استطاع إدوارد سعيد المجيء إلى الحدود اللبنانية – الفلسطينية ليرمي حجره؟

رواية

فيليب سولرس: عن الرغبة والرغبة المضادّة!

محمد ناصر الدين

بين عبارة آرتور رامبو «نقرة على الطبلة من إصبعك تطلق الأصوات كلها ويبدأ النغم الجديد» التي افتتح بها الروائي الفرنسي المخضرم فيليب سولرس (1936) روايته «رغبة» الصادرة عن «دار غاليمار» في عام 2020 والصادرة حديثاً عن «دار الرافدين» (بغداد - بيروت) بترجمة الشاعر اللبناني عيسى مخلوف، والجملة الختامية للرواية: «قد يتوقف القلب، لكن الفكر سوف يحيا»، يدخل فيليب سولرس الذي يبدو مختنقاً من روح العصر ومرحلة ما بعد الحداثة في لعبة مرايا مذهلة، تتقاطع فيها الظلال والملامح في لعبة تقديم وترجيع سريعة بين شخصيات متعددة، فيبتعد سولرس إلى الزمن الذي واكب انطلاقة الثورة الفرنسية ليتقصى عن فيلسوف غريب الأطوار سيتقمّصه الراوي في لعبة المرايا تلك: لويس كلود دو سان مارتن، المعروف باسم «الفيلسوف المجهول» الذي وُلِد عام 1743 وتوفي عام 1803، ونشر عام 1790 كتاب «رجل الرغبة» الذي اعتبره سولرس بمثابة مانيفستو لحركة التنوير، إذ نقرأ في مقدمته: «لتكن مباركاً، أيها النور الساطع، الإشراق المرئي للنور الأبدي الذي استمدّ منه فكري وجوده. وما كنت لأمتلك القدرة على مشاهدتك مليّاً لولا أن فكري لم يكن شرارة من شرارك». لكن سرعان ما سنكتشف أنّ هذا القبس من أفكار الفيلسوف المجهول وارائه حول قضايا إشكالية مثل مجتمع الاستعراض والفرجة والمال والقضايا النسوية، لم يكن إلا قناعاً أو جزءاً من لعبة المخاتلة التي يلعبها سولرس ليطرح رأيه هو في هذه القضايا، في القضايا ذاتها ولا سيما الجنس والرغبة و«الرغبة المضادة» والعنف غير المحدود والعبثية في عالمنا المعاصر.

يدخل سولرس مثلاً في ثنا السرد واقعة استلهمها ليثير زوابعه في المقاطع اللاحقة: «ثمة إعلامية تقدم شكوى في المحكمة، بعد عشرين سنة من تعرّضها لاعتداء جنسي من رجل مشهور، كان قد وضع يده على فخذها أثناء مقابلة معه. مفهوم الفخذ يتردد صداه في كل مكان». لكن كما يقول الناقد ماثيو ليندون حول «رغبة» في مقالة في جريدة «ليبيراسيون»: «علينا ألّا نصدق أبداً في هذا العالم الروائي حيث كلمة «فخذ» صارت أفهواماً، أن الحرب الجندرية في عالم سولرس الساخر، تضع الأخيار في مقابل الأشرار». إذ سرعان ما يصوغ سولرس مفهوم «الرغبة المضادة» الذي سيشترك فيه الطرفان على حد سواء: «انظروا إلى رجُل الرغبة المضادة: إنه قلق للغاية. محوره الوحيد هو العمل الذي يشغله. وهو يريد أن يرتقي، أكثر فأكثر في السلّم الاجتماعي. رأسه مليء بالأرقام. إنه مدير دائماً وأبداً. وهكذا هي امرأة الرغبة المضادّة أيضاً. مثله هي، بل تتفوق عليه في ما يتعلّق بعملية التسويق. وإذا ما التقيا في علاقة واحدة، بطريقة أو بأخرى، فذلك ليتاكد كل منهما من النفور الذي يوحيه أحدهما للآخر».

الرغبة والرغبة المضادة كلمتان مفتاحيتان في عصر يريد الروائي أن يقارن «ثوريته» بالعصر الذي نشر فيه الفيلسوف المجهول نصه الرئيسي. لكنها ثورة يضيق سولرس ذرعاً بها، إذ نراه يبدي خوفه من عالم الرغبة المضادة الذي يعزّزه صعود الحركات النسوية في الغرب وتمكّنها من تسديد ضربات موجعة للهيمنة الذكورية، وهو ما يشير إليه مخلوف مقدمة الترجمة: «بالنسبة إليه، ما يحصل في الواقع هو جزء من تاريخ العلاقة بين المرأة والرجل، وكانّ على المرأة أن تتقبله، وإذا فعلت عكس ذلك، فهي وفق ما جاء في كتابه إلى جانب عدد من المثقفين والكتّاب المعروفين، يدافع عن العلاقات الجنسية بين البالغين والأطفال.

تظهر المحطات الأهم في حياة سولرس كانها رواية اقحمت في الرواية، فهو «المؤلف الشاب» القادم «للقراءة كتب نادرة جداً» مع جان بولهان، المدير السابق للمجلة الفرنسية الجديدة، وأجواء تلك الفترة التي تميزت بالصمت الخلاق بحسب سولرس الذي سبق عاصفة 1968، حيث يستشرف مع بولهان في تعاليم الطاوية الصينية المنبعثة من سباتها وكتابات رينيه غينون ثورةً عقلانيةً مجردةً من الديماغوجية العقائدية شبيهة بثورة دو سان مارتان: «عندما أعلن هايدغر، في نهاية حياته، أن إلهاً فحسب يستطيع أن ينقذنا اليوم، كان كانه يفكر في الفيلسوف المجهول. كذلك الأمر بالنسبة إلى نيتشه، في مقاطع عدة من «نقيض المسيح». لقد فشل هؤلاء الرجال لأنهم لم يعرفوا كيف يصمتون، بينما تجربة الفيلسوف المجهول باكملها كانت تقوم على الصمت. يبقى أن نتخيل الهدف الذي كان يصبو إليه، هو الذي لم يكن صوفياً، بل عقلاني التوجه». كما يخيّل إلينا أحياناً أن سولرس هو الفيلسوف المجهول ذاته، ثم يقول لنا في مكان آخر بأنّ هذا الأخير يظهر في أحلامه ليخبره أنه «السليل المباشر». إنه «الجنرال المجهول» الذي أطلق سراح الفيلسوف المجهول إبان الحرب الجزائرية حين كان على شفا الموت في المستشفيات العسكرية، فشكر الفيلسوف أندريه مالرو الذي أجابه قائلاً: «أنا من يشكرك، أيها السيد، لأنك استطعت مرة واحدة على الأقل، أن تجعل الكون أقل غباء». كما تبدو روح رامبو حاضرة بقوة في «رغبة»، في مقاطع عديدة من إشراقاته الأولى التي يرميها سولرس في وجه القراء والمجتمع، إذ سبق عام 1977 أن وقّع على بيان في صحيفتي «لوموند» و«ليبيرسايون» كتبه غابرييل ماتزنوف

تنبع أهميتها من المشكلات التي تفتعلها مع إنسان ما بعد الحداثة

تضخ لمشيئة «المثل النسوية الصاعدة» وتقف ضد الرغبة وتعمل على إخصاء الذكور»، فنقرأ بنهكم في مقطع بعنوان «شفافية»: «في الباب المجاور للجحيم، يهيم الآن ظلّ ناشطة في حركة «فيمن» كشفت عن تذييها مئات المرات امام رجال شرطة مذهولين. لكنها في نهاية الأمر، تركت منظمتها الثورية وانكبّت على إنجاز رسومات شبه دينية ثم شنقت نفسها. يبدو أن هاوي مجموعات فنية من المملكة العربية السعودية، لم يشترِ اللوحات القبيحة جداً للفتاة المسكينة، وإنما دفع مليون دولار للحبل الذي أرسلها إلى الشيطان». ليست القنبلة الأولى التي يرميها سولرس في وجه القراء والمجتمع، إذ سبق عام 1977 أن وقّع على بيان في أحد فصول كتابها البديع «كيف تلتئم». لكن رغم اختلاف شكل الكتابين عن بعضهما وعن حتى كتابها الأخير «في أثر عنايات الزيات»، تكون الصورة دائماً مصدراً للغياب لا الحضور. تستدعيها كدلالة على الغياب، هذه الصورة العادية معنى التواصل العادي عند المتلقّي كما يرى باشلار في مقدمة كتابه «جماليات المكان».

في كتابة مرسال، هناك اهتمام دائم بالصور الفوتوغرافية واستدعاء دائم لها. تجلّى هذا في أحد فصول كتابها البديع «كيف تلتئم». لكن رغم اختلاف شكل الكتابين عن بعضهما وعن حتى كتابها الأخير «في أثر عنايات الزيات»، تكون الصورة دائماً مصدراً للغياب لا الحضور. تستدعيها كدلالة على الغياب، داخل الشعر، الشعر الذي ينبجس من فجيعة خراب البيوت، أو ينبجس من المعرفة الزائدة عن حدّها. وتستدعي صورة في الأجزاء الثلاثة، لتكون حياة كاملة رغم عدم وضوح ملامحها... الصورة التي تكون حياةً هي الشعر الذي يتصفّى من محاولة التخلي عن البيوت.

في «كيف تلتئم»، تقول إيمان إنّ «المعرفة الدقيقة باب للرعب والكوابيس». وفي دراسة قدمها الشاعر الفرنسي جان ليسكور عن رسم تشارلز لابيك، قال: «المعرفة يجب أن ترافقها قدرة مساوية على نسيانها. ونسيان المعرفة ليس نوعاً من الجهل، بل هو تجاوز صعب للمعرفة». لعلّ مرسال بدأت ديوانها من محاولة تجاوز وطنها الأول أي بيتها الأول قرية «ميت عدلان»، كتبت بقوة الحالم بتجاوز المعرفة، وبقوة المتخيّل. يبدأ الديوان بنثر «لعنة الكائنات الصغيرة» الذي يصوّر مشهد مستعمرة نمل تأكل جدران البيت. يتحطم البيت شيئاً فشيئاً، ليصبح حطاماً، ثم يتضح أن البيت هذا قام مكانه بيت لله أو مقابر، لتظهر العلاقة بين تحطم البيت والموت. ثم يصبح الراوي في النثر هو الذي يدلّ المعزين على مكان العزاء، ليصبح خراب البيت مرتبطاً بالفجيعة. الفجيعة التي لا ترتبط بالموت فقط، بل بـ«فقدان التسميات لذاكرتها من كثرة ما نقضمها باسناننا» كما كتبت مرسال. ثم تستدعي الراوية صورة غير واضحة كاملة. تسرد أحداث حياة كاملة، تنبثق صورة شعرية مرعبة من اللغة. تفوق ليصبح الشعر هو الحاضر بقوة لا صورته فقط. يتحرك بحرية أكبر لتكوين صورة تتجاوز الغياب والحضور، أو كما كتب بيار - جان جوف: «الشعر يتجاوز مصدره على الدوام، ولأنه يعاني بعمق في المتعة القصوى أو الحزن، فهو يمتلك الحرية الأكبر».

في الجزء الثاني من الديوان، تبدأ مرسال بالوصول إلى ما لا تريد هي. تصبح كتابة الشعر غير معنية بالوصول إلى ما يريده الشاعر، لا بل إلى ما لا يريده. على لسان راوية غير عليمة، تحكي إيمان حكاية عن صناعة وهم وإتقانه واليقظة من نوم طويل في قصيدة بعنوان «جرس الصباح»، تكتب فيها: «هكذا يستلم الواحد جائزة العودة سالماً من النوم». وبين اليقظة والنوم، ثمة تدريب على الموت. تصبح كلمة الموت غير مرتبطة بغياب الجسد في العالم الآخر، بل على تدريبه على فعل ما لا يريد كل يوم. الراوي المضطرب يرى نفسه من خلال هذا الوهم بانه انتهى إلى بيوت أيضاً، فتكتب مرسال: «وأنا أبدأ وصولي الأكثر خيبةً إلى ما لا أريد».

يمنح التخلي عن البيت روحاً جديدة للشعر، أو كما يقول باشلار إنه «من روح الشعر أن تمنح حساً غير واقعي بصورة مرتبطة بواقع راسخ». تلعب مرسال هذه اللعبة ببراعة شديدة في قصيدة «تجارة العبيد»: «ساكتب عن التبوّل واقفة، والنوم واقفة، عن جسدي كخيمة لي، عن أن الخراء يصبح مجرد خراء عندما تتعود عليه، ساكتب ذلك أنني أنجو من أوبئة المركب، ومن الجروح التي لا تجففها أسابيع تحت المجرات».

تصبح الكتابة وسيلة في هذا الديوان لمعرفة النفس عبر طريق طويل من الشوارع الجانبية التي تختفّ بالمعزين، والموتى، وأبناء موت كما كتبت. تصبح الكتابة طريقاً للعودة إلى البيت، واللغة مجازاً للعودة إليه بعد وهم صنعته بالتخلي عنه. في ديوانها «جغرافيا بديلة»، كتبت عن ست خطوات تمنح المغترب عن وطنه إمكانية بعث رسالة ناجحة لأهله منها «يستحضر المجازات التي تربّى عليها، المجازات التي ظن أنه لن يلمسها يوماً». تصبح المجازات سلاحاً لإرساء الطمانينة في قلوب أهله. كما يصبح الشعر بالنسبة إلى الشاعر أيضاً محاولة لإرساء حياته، أو نجاة «من الخراء»، فتكتب في نهاية «حتى أتخلى عن فكرة البيوت»: «كلما تكونت كلمة، التام جرح ما في هذا العالم». وبهذه النهاية تمنح الشعر دوراً آخر، دوراً يتجاوز شدة جمال صورته أو معنى مجازه، بل حياةً كاملة يشيّدها عبر اللغة. ينتهي الديوان عكس ما بدأ. الراوي الواثق من نفسه الذي يرغب في قضم الكلمات كالفئران، يدرك في النهاية قيمتها. يدرك أنّ الشعر دواء لفجيعة الحياة، أو كما قالت مرسال نفسها في حوار أجراه معها الصحافي حسن عبد الموجود: «تعلمت أن الكلمات قد تنير عتمة شخص ما، أو تلمسه، وما زال ذلك اكتشافاً مدهشاً بالنسبة إليّ». وربما أكثر ما يستخدم لإرساء الأشخاص إلى طمانينة ما، ليس المجازات أو الكلمات، بل الشعر الحقيقي وحده.

شعر

إيمان مرسال: ليس الموت وحده فجيعة

مهند عبد العظيم

حين صدر «حتى أتخلّى عن فكرة البيوت» للشاعرة إيمان مرسال في طبعته الأولى عام 2013 (التنوير وشرقيات)، كان المصريون متخذين الشوارع والحارات والأزقة بيوتاً لهم، قبل أن يصدر أخيراً بطبعة جديدة عن «دار الكتب خان». يبدو التخلي عن البيوت في كل الأزمنة مرتبطاً بالفقد/ الفجيعة. هاجر النبي ليسكور عن رسم تشارلز لابيك، قال: «المعرفة يجب أن ترافقها قدرة مساوية على نسيانها. ونسيان المعرفة ليس نوعاً من الجهل، بل هو تجاوز صعب للمعرفة». لعلّ مرسال بدأت ديوانها من محاولة تجاوز وطنها الأول أي بيتها الأول قرية «ميت عدلان»، كتبت بقوة الحالم بتجاوز المعرفة، وبقوة المتخيّل. يبدأ الديوان بنثر «لعنة الكائنات الصغيرة» الذي يصوّر مشهد مستعمرة نمل تأكل جدران البيت. يتحطم البيت شيئاً فشيئاً، ليصبح حطاماً، ثم يتضح أن البيت هذا قام مكانه بيت لله أو مقابر، لتظهر العلاقة بين تحطم البيت والموت. ثم يصبح الراوي في النثر هو الذي يدلّ المعزين على مكان العزاء، ليصبح خراب البيت مرتبطاً بالفجيعة. الفجيعة التي لا ترتبط بالموت فقط، بل بـ«فقدان التسميات لذاكرتها من كثرة ما نقضمها باسناننا» كما كتبت مرسال. ثم تستدعي الراوية صورة غير واضحة كاملة. تسرد أحداث حياة كاملة، تنبثق صورة شعرية مرعبة من اللغة. تفوق

اهتمام دائم بالصور الفوتوغرافية واستدعاء دائم لها

لمحات

وليد وهيب الشعار

يُقدّم وليد وهيب الشعار في «اللامركزية الإدارية الموسعة وإصلاح النظام الضريبي» (منشورات الحلبي الحقوقية) حلولاً للأزمة اللبنانية المستفحلة، مقترحاً مخارج عديدة لمعالجة أزمة الضرائب وتحقيق الإنماء المتوازن. يدعو الكاتب إلى تطبيق اللامركزية الإدارية وإعطاء السلطات المحليّة المزيد من الصلاحيات لإدارة شؤونها الخاصة وتقديم الخدمات العامة التي تستجيب لحاجات أهالي المناطق وأولوياتها. يُشدّد على دور الضريبة التصاعدية كأداة لتحقيق العدالة الاجتماعية، مؤكداً على أنّ إصلاح النظام الضريبي سيسهم في تمويل البلديات وتنمية المناطق الفقيرة ويساعد لبنان على التخلص تدريجاً من العائلات السياسية التقليدية ومن التعقيدات الطائفية والمذهبية للوصول إلى تغيير سياسي ديمقراطي حقيقي في البلد.

علي محافظة

يضيء كتاب علي محافظة «دراسات في الفكر القومي العربي والصراع العربي – الإسرائيلي» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) على أبرز القضايا العربية القومية في القرن العشرين، خصوصاً الصراع مع العدو الصهيوني، مقدّماً قراءة معمّقة للأحداث العربية من جوانب مختلفة في ظل التحولات الإقليمية والدولية الكبرى. يُحلل المؤرّخ الأردني المآلات التي انتهى إليها الفكر القوميّ العربيّ النهضويّ بعد العواصف السياسية والعسكرية التي هبّت على بلادنا. ويتناول موضوعات لا تزال ذات أهمية كبرى في الواقع العربيّ المعاصر، فكانّ أسئلة النهضة الأولى لا تزال تنتظر الإجابات، ومن هنا تبدو هذه الأفكار التي يطرحها الباحث في هذه الدراسات ضاغطة على الواقع العربي، في انتظار نضوج الشروط الموضوعية للتغيير وبزوغ زمن عربيّ جديد.

هدى حمد

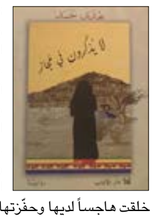

تتطرّق روايــة «لا يُذكرون في مجاز» (دار الآداب) إلى مضامين عجائبيــة وقصص أسطورية. الرواية نتاج بحث ولقاءات عديدة للكاتبة العمانية هدى حمد بكبار السن، وتأمل في حكايات الجدّات والأمهات التي خلقت هاجساً لديها وحفّزتها للانطلاق في كتابتها.

يحتشد بناء النص السردي بكمّ هائل من القصص العجائبية والحكايات الغرائبية وشخصيات من عالم السحرة والجن والمسوسين والمُغيّبين وأصحاب العاهات وحيوانات ذات قدرات خارقة تُعيدنا مباشرة إلى أجواء «ألف ليلة وليلة» والقصص الخرافية القديمة. كل ذلك سيشكل مادة الرواية التي ستُقدّمها الكاتبة للقراء في ما يشبه حساء السحر العجيب من كتاب الجدّة الذي ما إن نتناوله حتى نُصاب بالدهشة والفضول والاستغراب.

مونغو بارك

ينتمي كتاب المستكشف الأسكتلندي مونغو بارك «في أعماق أفريقيا» (1799) الصادر أخيراً عن «منشورات المتوسط» (ترجمة نعيمة الحوسني) إلى أدب الرحلة. في أيار (مايو) 1797 غادر بارك على متن سفينة متجهة إلى السنغال ومن هناك بدأ رحلاته ولم يعد إلى إنكلترا إلا أواخر عام 1797. في عام 1805 خطّط لاقتفاء أثر نهر النيجر إلى حيث منبعه، وهناك قُتل هو وأعضاء بعثته خلال عبوره مجرى النهر في منطقة بوسا. لكنّه ترك لنا هذا الكتاب الذي يُعتبر وثيقة تاريخية عن بدايات الاستعباد البريطاني والأميركي للافارقة، وإرثاً إثنوغرافياً لا يمكن الاستغناء عنه. يخبرنا في يومياته عن بلاد كثيفة، غنيّة ومزدهرة عمَلَ الاستعمار الغربي على تشويهها بطريقة مأساوية، عبر منع التبادلات التجارية بين الممالك، وإجبار الناس على التخلي عن الزراعة أو تحويل مسارها، ودفع السكان الأصليين بقسوة للنزوح نحو المناطق الساحلية.

كيونغ سوك شين

تروي «راقصة البلاط الملكي» (2007) الصادرة عن «دار الكتب خان» (ترجمة محمد نجيب) المصير الفريد لراقصة البلاط الملكي الكوري «جين لي» التي عاشت في نهاية القرن التاسع عشر. في ذلك الوقت بدأت تنفتح مملكة كوريا على العالم الخارجي الذي أخذ يكتشفها بدوره، وهكذا يقع فيكتور كولين أول دبلوماسي من المفوّضية الفرنسية في كوريا تحت تأثير جين لي ويصطحبها معه إلى باريس، حيث تلتقي هناك بالكاتب الشهير غي دو موباسان. في هذه الرواية القائمة على أحداث حقيقية، يلتقي عالمان مختلفان جداً عبر قصة حب. تبرع الكاتبة كيونغ سوك شين في وصف حياة البلاط، والطبخ الكوري، والملابس الشرقية، وتخترع العديد من الشخصيات الثانوية التي تساعد القارئ في فهم التحولات السياسية والدينية التي مرّت بها كوريا في فجر القرن العشرين.

بروين حبيب

تُوجه الشاعرة والإعلامية البحرينية بروين حبيب اهتمامها إلى الأطفال في كتابها الجديد «جدّي والواتساب» الصادر أخيراً عن «دار الساقي». الكتاب هو قصة قصيرة تحكي عن سلمى الفتاة الصغيرة التي شعرت بالقلق بعدَ أنْ عرفتْ أنّ رسالةً جدّها إلى صَديقه العزيز تَستغرقُ أسبوعاً إلى عشرة أيّام لكي تصل إليه. تصمم هنا على مساعدة جدها الحبيب على التواصل مع أصدقائه وتقرر أنْ تُعلّمَه كيفية استخدام تقنية الواتسآب! ولكن في المقابل ستتعلم سلمى الكثير من جدّها العجوز وخبرته الكبيرة في الحياة. الكتاب موجّه إلى الفئة العمرية التي تُراوح بين 7و9 سنوات ويقع في 32 صفحة تزيّنه الرسومات الجميلة للفنانة الإيرانية ومصمّمة الأغلفة المتخصّصة في كتب الأطفال شيما زارعي.

أوراق

الصافنات الجياد

زكريا محمد*

تبدو آيات الصافنات الجياد في «سورة ص» صعبة، بل وملغزة ربما، في أكثر من نقطة: «ووهبنا لداود سليمان نِعم العبد إنه أوّاب. إذ عُرض عليه بالعشي الصافنات الجياد. فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب. ردّوها عليَّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» (سورة ص: 30-33).

أولاً: لماذا سمّت الآيات الخيل بالخير: «إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي». فالكل تقريباً مجمع على أن «الخير» هنا تعني الخيل. فهل هذا تصحيف أم ماذا؟ وقد قرأ عبدالله بن عباس الكلمة باللام (الخيل). وهذا بصراحة أكثر منطقية. لكن وجود «الخير» بدل «الخيل» جعل عدداً من المفسرين يفترضون أن الخيل هنا خيل حربية، انطلاقاً من الحديث النبوي الشهير: «الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». فالخيل التي يذكرها الحديث هي خيل الحرب.

ثانياً: وما هو السيّئ الذي توارى بالحجاب في الآية: أهي الشمس أم الخيل؟ والاتجاه الغالب أن الأمر يتعلق بالشمس، وأن النبي سليمان نسي صلاة العشاء أو العصر بسبب اهتمامه بالخيل الصافنة وملاعبتها. لكن هناك من يقول إنها الخيل لا الشمس. أما أي حجاب هو الذي وارى الشمس أو الخيل، فنحن لا ندري.

ثالثاً: أي طراز من الخيل هي الصافنات؟ وهذا هو السؤال الأعقد، والذي دار عليه الجدل، ويدور حتى الآن.

أما نحن، فسندلي بدلونا بشأن «الصافنات الجياد» فقط. وهناك بالطبع إجماع على أنّ الصافنات هي الخيل. لكن الخلاف يدور حول أي طراز من الخيل هي، أي حول كلمة «الصافنات» عملياً. والغالبية من المفسرين يجمعون على أن الخيل الصافنة هي الخيل التي تقف على ثلاث قوائم وتلمس بالرابعة الأرض لمساً. لكن هناك من يقول إن الصافنات هي الخيل القائمة بالعموم: «الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وقد قيل: الصافن القائم على الإطلاق، قال الكميت: نعلمهم بها ما علمتنا/ أبوتنا جواري، أو صفونا. وفي الحديث: من سرّه أن يقوم له الناس صفوناً أي واقفين... ومنه الحديث: فلمّا دنا القوم صافنّاهم أي واقفناهم وقمنا حذاءهم.... وقال الفراء: رأيت العرب تجعل الصافن القائم على ثلاث وعلى غير ثلاث، قال: وأشعارهم تدل على أن الصفون القيام خاصة» (لسان العرب).

لكن إذا كان الصفون هو قيام الخيل على ثلاث، فالخيل كلها في الواقع تقوم على ثلاث في لحظات محددة. بذا فجميع الخيل في الحقيقة صافنة. وهذا ما يعاكس منطقة الآية، التي تجعل الصفون صفةً خاصة. وإذا كان الصفون هو القيام عموماً، فلماذا تسمى الخيل واحدها صافنات، أي قائمات؟ هذا غير منطقي.

لكن هناك من أخبرنا أنّ الصافنات خيل ذات أجنحة: «قال ابن زيد: الصافنات: الخيل، وكانت لها أجنحة. وأما الجياد، فإنها السِّراع، واحدها: جواد... وذُكر أنها كانت عشرين فرساً ذوات أجنحة... حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم التيمي، في قوله: «إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَاد»، قال: كانت عشرين فرساً ذات أجنحة» (تفسير الطبري).

وهناك من يقول إنّ هذه الخيل جاءت من البحر: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: الخيل أخرجها الشيطان لسليمان، من مرج من مروج البحر» (تفسير الطبري). ويبدو لي أن الخيل الصافنة هي الخيل المجنحة فعلاً. وإذا صح هذا، فهو يشير إلى أن خيل سليمان كانت خيلاً أسطورية، وليست خيلاً واقعية. وهذا يعني أن إصطبلاته الشهيرة كانت إصطبلات أسطورية بخيل أسطورية. يدفعني إلى هذا الحكم أنني عثرت في أحد المواقع الإلكترونية على حفر لحصان مجنّح قربه نقش مكتوب بالمسند يشير إلى أنّ الخيل الصافنة هي الخيل المجنحة.

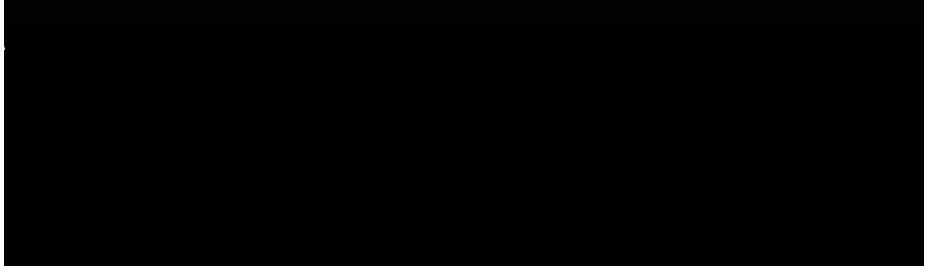

ناشر النقش يمني كما يشير لقبه «اليافعي». وقد قرأ الرجل حروف النقش بشكل سليم جداً. وكما نرى في الصورة أعلاه، فلدينا فرس مجنّح منحوت نحتاً بارزاً على حجر. وقد نُقشت أمام الفرس أربعة من حروف المسند قرأها الناشر اليافعي قراءة صحيحة هكذا: ص ف ن ث (صفنث). وقد لوّنت الحروف الأربعة للكلمة بالأحمر حتى تتضح للقارئ، كما تظهر الصورة أدناه. والحروف تُقرأ من أعلى إلى أسفل.

وفي تقديري، فإنه من الصعب ألا تكون كلمة «صفنت» إشارة إلى الفرس. وربما افترض أحد أنّ الحروف تمثل اسم حافر الصورة. لكن ليس لدينا الاسم (صفنث) لا في جنوب الجزيرة العربية ولا شمالها. بناءً عليه، لا بد من أنّ «صفنت» صارت «صافنات» في الآية القرآنية أعلاه. وما تغير فقط هو تحول التاء إلى ثاء. وهذا أمر ليس بالغريب، فالتاء والثاء حرفان قريبان جداً أحدهما من الآخر، وينقلبان بسهولة في اللغات السامية عموماً. بذا يمكن لنا أن نقرأ الكلمة على أنها «صفنت» بالعربية الشمالية. وإذا أضفنا حروف العلة التي لم تكن تُكتب، فسوف نكون في الواقع مع «صافنة».

وإذا صح هذا، فهو يعني أن الصافنة هي الفرس المجنح، وأن الصافنات هي الخيل المجنحة، وليست القائمة على قوائم ثلاث أو غير ذلك. أي أن الصافنة اسم جنس للخيل المجنحة. عليه، فالخيل التي استعرضها سليمان كانت خيلاً مجنحة، والصافنات الجياد تعني: الجياد المجنحة، وليس أكثر من ذلك. ومن المحتمل أنها هي التي «توارت بالحجاب» وليس الشمس، أي أنّها عملياً طارت وابتعدت ثم استدعاها سليمان فعادت إليه، وأخذ يمسح أعناقها وسيقانها تحبّباً.

وعلى أي حال، يبدو أن تقليد الخيل المجنّحة الصافنة ظل موجوداً حتى صدر الإسلام. ولولا ذلك، لما اقترح أحد ما أنّ الصافنات هي الخيل المجنّحة. لقد عرف من قدّم هذا الاقتراح عبر الكتابات أو عبر الرواية الشفوية على تقليد الخيل المجنحة الصافنة.

والخيل كما نعلم من فصيلة «الخيليات» التي تشمل: البغال والبراذين والحمير الأهلية وحمير الوحش والحمر الأفريقية المخطّطة. ومن المحتمل أنّ الأنواع المجنحة من هذه الأنواع كانت تسمى «الصافنات» أيضاً. بناءً عليه، يبدو أن البراق الذي ركبه الرسول في رحلة الإسراء إلى القدس، كان واحداً من الصافنات المجنحة. فليس ممكناً أن يصل من مكة إلى القدس في ليلة واحدة إلا براق مجنّح. وقد وصف البراق بأنه دون البغل وفوق الحمار. وفي حديث منسوب إلى الرسول أنه قال: «أتاني جبريل بدابة بين الحمار والبغل لها جناحان» (الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار). وهو ما يظهر أنّ الصافنات اسم لمجنح من الخيليات عموماً.

أما المسيح فقد جاء إلى القدس ملكاً على ظهر جحش ابن أتان: «ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب. لا تخافي يا ابنة صهيون هو ذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتان» (يوحنا 12: 14-15). بذا فالحمار أيضاً مركوب النبوات مثله مثل البراق والصافنات الجياد. لكن الأهم أن نبوة المسيح ونبوة محمد، عليهما السلام، مرتبطتان بالخيليات، أي بالصافنات.

* شاعر فلسطيني

Samedi 27 Août 2022 no31
السبت 27 آب 2022 العدد الواحد والثلاثون

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

دليك انتخاب الرئيس

5-4

يُنتخب رئيس الجمهورية اللبنانية من قبل أعضاء البرلمان، أي مجلس النواب الذي يتألف من 128 نائباً يُنتخبون على أساس المناصفة بين المسلمين والمسيحيين، كما ينص الدستور. ويعبّر عن منصب رئيس الجمهورية تارة بأنه رئيس الجمهورية، وطوراً بأنه رئيس الدّولة، إضافة الى نعته بأنه رمز وحدة الوطن ويسهر على احترام الدستور والمحافظة على استقلال لبنان ووحدته وسلامة أراضيه وفقاً للدستور

(نجلا بوابغنا ـ المكسيك)

سين جيم

إعداد صادف علوية

تنظيم الشراء العام قانون تفرّ منه المؤسسات العامة

بعد صدور قانون الشراء العام رقم 244 ودخوله حيز التطبيق اعتباراً من 29 تموز 2022، أصبح تطبيقه إلزامياً على جميع مشتريات القطاع العام سواء كانت إدارات عامة أو مؤسسات عامة. رغم ذلك، تحاول بعض المؤسسات العامة التنصّل من تطبيق أحكامه والتهرب منه تحت أكثر من حجة. ورغم أن الجهات الشارية ملزمة بإيداع هيئة الشراء العام وثائق الإعلانات المتعلقة بعمليات الشراء التي تجريها لنشرها على المنصة الالكترونية المركزية التابعة للهيئة ليبدأ مفعولها بالسريان، وليس في الجريدة الرسمية سيما أن الاعلان المخالف للقانون لن يكون له اي مفعول قبل نشره على هذه المنصة، وذلك وفقًا للنموذج الصادر عن هيئة الشراء العام والموجود على موقعها الالكتروني (المادة 12 من قانون الشراء العام)، لا تزال الجريدة الرسمية تنشر الإعلانات المخالفة لقانون الشراء العام، ما يقضي بمنعها من نشر هذه الإعلانات وعدم الاستجابة للمؤسسات العامة الشارية عند مخالفتها القانون. تجدر الإشارة إلى ان هيئة الشراء العام أصدرت المذكرة رقم 1/ ه.ش.ع / 2022 وهي موجهة الى كافة الجهات الشارية تطلب اليها ايداع هيئة الشراء العام المعلومات العائدة للصفقات التي تجريها اعتبارا من تاريخ 29/7/2022 ايا كان تاريخ الاعلان عنها

ما هي انواع عمليات الشراء الخاضعة لقانون الشراء العام؟

تخضع لأحكام هذا القانون كل عمليات الشراء العام من لوازم وأشغال وخدمات التي تقوم بها الجهات الشارية الخاضعة للقانون، سواء كان تمويل العقد من أموال الموازنة او الخزينة أو من قروض داخلية أو خارجية أو هبات غير مقيَّدة بشروط الواهب، مع مراعاة أحكام المعاهدات والاتفاقيات الدوليّة المبرمة مع الدولة اللبنانية. ولا يجوز لأي جهة شارية، في غير الحالات المنصوص عليها في هذا القانون، القيام بأي عمليّة شراء إلا طبقاً لأحكامه.

من هي الجهة الشارية التي تخضع لهذا القانون؟

الدولة وإداراتها، ومؤسساتها العامة، والهيئات الإدارية المستقلة، والمحاكم التي لديها موازنات خاصة بها، والهيئات، والمجالس، والصناديق، والبلديات واتحاداتها، والأجهزة الأمنية والعسكرية (والمؤسسات والإدارات والوحدات التابعة لها)، والبعثات الدبلوماسية في الخارج، والهيئات الناظمة، والشركات التي تملك فيها الدولة وتعمل في بيئة احتكارية، والمرافق العامة التي تديرها شركات خاصة لصالح الدولة، وأيّ شخص من أشخاص القانون العام ينفق مالاً عاماً بما فيها عمليات الشراء التي يجريها مصرف لبنان (باستثناء طباعة وإصدار النقد وتحويلاته).

ما هي طرق الشراء العام التي حددها القانون؟

حدد القانون طرق الشراء والقواعد العامة التي تطبَّق على اختيار طريقة الشراء، حيث يمكن للجهة الشارية ان تقوم بالشراء بواسطة:
- المناقصة العمومية.
- المناقصة على مرحلتين.
- طلب عروض الأسعار.
- طلب الاقتراحات للخدمات الاستشارية.

ما هي عقوبات مخالفة قانون الشراء العام وما هي المخالفات؟

إضافة إلى العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون والقوانين الأخرى ولاسيّما قانون العقوبات، تُطبّق العقوبات التالية:
العقوبات الجزائية: يُعاقَب كلّ من يخالف أحكام الفقرة الأولى من المادة 110 من هذا القانون بالحبس من شهرين إلى سنتين، وبالغرامة من عشرين ضعفاً إلى مئتي ضعف الحد الادنى للأجور النافذ بتاريخ المخالفة، أو إحدى هاتين العقوبتين. وتُضاعَف الغرامة في حال التكرار.
يُعاقَب كلّ من يخالف أحكام الفقرة 5 من المادة 110 بالحبس لمدة لا تقل عن سنتين وبغرامة تتراوح ما بين ضعفين وثلاثة أضعاف المنفعة المادية المتوقّعة أو المحقّقة، وفي حال تعذّر تحديد قيمة المنفعة المادية المتوقعة بشكل دقيق تُطبّق غرامة تتراوح بين عشرين ضعفاً ومئتي ضعف الحد الادنى للأجور النافذ بتاريخ المخالفة.
يُعاقَب الموظّف أو المشرف وكلّ من اشترك في الإشراف واستلام الخدمات أو اللوازم أو الأشغال المنفّذة بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات وبغرامة تتراوح بين ضعفين وثلاثة أضعاف قيمة الجزء من العقد المسؤول عن مراقبة تنفيذه أو استلامه أو الاشراف عليه،

> **يُطبّق قانون العقوبات والقوانين المتعلّقة بمكافحة الفساد وخاصة في القطاع العام**

إذا تغاضى عن ضبط المخالفات المرتكبة أو أخلّ بتنفيذ شروط العقد أو أهمل المراقبة أو تأخّر عن القيام بالإجراءات المتوجّب اتخاذها أو التخلّف عن القيام بموجباته الوظيفيّة وفق الأصول، كلّ حسب مسؤوليته.

وتُشدَّد العقوبة في حال التكرار.
يُطبّق قانون العقوبات والقوانين المتعلّقة بمكافحة الفساد وخاصة قانون مكافحة الفساد في القطاع العام وإنشاء الهيئة الوطنيّة لمكافحة الفساد رقم 2020/175 تاريخ 2020/5/8 وتعديلاته وقانون التصريح عن الذمة الماليّة والمصالح ومعاقبة الإثراء غير المشروع رقم 189 تاريخ 2020/10/16 وتعديلاته وسائر القوانين ذات الصلة على الجرائم التي تقع تحت طائلتها والمرتبطة بتنفيذ هذا القانون. وعند تعارض هذه القوانين في ما بينها تُطبّق العقوبة الأشدّ بحق الملاحقين.
يُعاقب الشريك والمحرّض والمتدخّل والمستفيد بالعقوبة عينها المقرّرة للفاعل الأصلي في الجرائم المبيّنة أعلاه.
يُسأل الملتزم من بين الأشخاص المعنويين، جزائياً، عن أفعال مديريه وأعضاء إدارته وممثّليه وعمّاله عندما يأتون هذه الأفعال باسم الشخص المعنوي المذكور أو بإحدى وسائله وفق أحكام المادة 210 من قانون العقوبات.
بالإضافة الى العقوبات التأديبية والماليّة بحق الموظفين والغرامات بحق الجهات الشارية ويُلزمها بدفع غرامة مالية تتراوح بين عشرين ضعفاً ومئتي ضعف الحد الادنى للأجور النافذ بتاريخ المخالفة، وفق حجم المخالفة وخطورتها، في حال مخالفتها الأحكام المنصوص عليها في هذا القانون وأنظمته التطبيقيّة، ولا سيّما التي تتعلق بما يلي:
1. مخالفة إجراءات الشراء المنصوص عليها في هذا القانون.
2. تجزئة الشراء خلافاً للقانون.
3. مخالفة أحكام مكافحة الفساد عند إجراء عمليات الشراء العام.
4. عدم اتّخاذ الإجراء المناسب لتفادي تحديد ومنع تضارب المصالح في إجراءات الشراء؛
5. عدم الالتزام باصول اعتماد طرق الشراء القانونية.
6. مخالفة أصول النشر والإعلان وفق ما تنص عليه أحكام هذا القانون.
7. عدم إيداع هيئة الشراء العام وهيئات الرقابة وهيئة الاعتراضات المعلومات والمستندات المطلوبة وفق الأصول.
8. عدم الالتزام بموجب التخطيط المنصوص عليه في المادة 11 من هذا القانون.
9. عدم الالتزام بالمهل القانونية للإعلان ولتقديم العروض وللاستلام وعدم احترام فترة التجميد؛
10. مخالفة مهل أصول إيداع ضمانات العرض وحسن التنفيذ.
11. إرساء التلزيم على عرض لا تتوفّر فيه الشروط المطلوبة أو لا يشكّل أفضل العروض المقدّمة.
12. إلغاء الشراء خلافاً للأصول المحدّدة في هذا القانون.
13. عدم إنشاء سجلّ الشراء المنصوص عليه في المادة 9 من هذا القانون أو إدراج المعلومات فيه خلافاً للأصول.
14. عدم وضع التقرير السنوي المنصوص عليه في المادة 102 من هذا القانون.
15. ارتكاب الأخطاء في تسجيل العروض المقدّمة.
16. إعاقة وصول العارضين إلى المعلومات والمستندات المتاحة قانوناً.
17. تعديل الشروط والمواصفات قبل وبعد التعاقد خلافاً لأحكام هذا القانون.

الشراء الالكتروني

اضافة الى إرساء ما يُسمّى بالاتفاق الاطاري. الجديد هو نظام المشتريات الالكتروني، بحيث تُنشأ لدى هيئة الشراء العام منصة الكترونية مخصّصة للشراء الالكتروني عبر استخدام وسائل وتقنيات معلوماتية رقمية لتأمين حاجات الجهات الشارية من لوازم وأشغال وخدمات، وهو أمر يقتضي على الحكومة أن تصدر مرسومه بشكل عاجل.

الموقع الإلكتروني لهيئة الشراء العام

قانون الشراء العام في لبنان: قانون | رقم 244 تاريخ: 2021/07/19

تحت القوس

القاضي البديل... صحافي؟

عمر نشابة

أدى تفاقم الازمة المعيشية واستمرار الانهيار الاقتصادي وتراجع الامل في اصلاح الدولة الى تجميد عمل المحاكم. اذ قرر القضاة الاعتكاف بعدما انهارت قيمة رواتبهم ولم تعد تكفي لتغطية ابسط حاجاتهم. وينشغل عدد من القضاة حالياً بالبحث عن عمل مؤقت او دائم في لبنان او في دول الخليج أو في أي مكان آخر حيث يمكنهم الاتكال على مدخولهم الشهري لتغطية نفقات الإقامة وتعليم أولادهم والعيش بكرامة وحيث تتوفر الخدمات الطبية والأدوية للجميع. أما القضاة الذين قرروا عدم الاعتكاف فيبدو ان بعضهم قد تمكن من تأمين الأموال التي يحتاجون اليها.

في ظل غياب القضاة وتجميد الحركة في قصور العدل، من سيتولى اصدار الاحكام بحق المشتبه بهم والمتهمين بارتكاب جرائم؟ ومن سيحسم الإدانة أو يثبّت البراءة؟ ومن سيتخذ قرار احتجاز اشخاص او اخلاء سبيلهم؟

الإجابات على هذه الأسئلة قد لا تهم اليائسين من القضاء، والمشككين في عدالته. فبالنسبة لهؤلاء لم يقم القضاة بواجباتهم ولم تصدر عنهم قرارات وأحكام عادلة حتى قبل بداية انهيار قيمة رواتبهم.

لكن هل هناك بالنسبة لهؤلاء بديل عن القضاء والمحاكم لإصدار الإدانة أو التبرئة في القضايا الجنائية؟

ان مراقبة ما تبثه التلفزيونات والاذاعات وقراءة ما تنشره الصحف يدل الى أن أبرز من يسعى للعب دور القضاة، منذ ما قبل اعتكافهم، هم اعلاميون وكتاب صحافيون تمكنوا من جمع معلومات يفترض ان تبقى سرية من ملفات التحقيق. وكنا قد نشرنا رسماً توضيحياً عرضنا فيه الفرق بين التحقيق القضائي والتحقيق الصحافي (القوس العدد الأول، 8 كانون الثاني 2022).

وبما ان معظم وسائل الاعلام في لبنان منحازة الى اطراف سياسية، فلا شك في ان حسم الإدانة أو التبرئة في القضايا الجنائية عبر التلفزيونات والصحف ووسائل التواصل الالكتروني تخضع لحسابات لا علاقة لها بالعدل والانصاف.

علماً انه مهما بلغت نزاهة الصحافي ومهنيته وأخلاقه، وحتى لو كانت الوسيلة الإعلامية التي ينتمي اليها موضوعية وموثوقة، لا يمكنه ان يحسم الإدانة أو التبرئة. إذ ان ذلك يتطلب اتباع تسلسل إجراءات تضمن الوصول الى العدالة، واهمها الاستقلالية والسرية والرقابة القضائية. كما ان المحاكم التي يترأسها القضاة يفترض ان تحفظ حقوق جميع افرقاء القضية استناداً الى ما ينص عليه قانون أصول المحاكمات. ولا يفترض ان تسعى المحكمة الى التشهير بالمتهم بل عليها ان تقدم له كل التسهيلات المتاحة للدفاع عن نفسه وعن مصالحه.

للاعلام المسؤول وظائف بالغة الأهمية ودور ثقافي واجتماعي وسياسي. ولا يفترض ان ينتحل الاعلام صفة المحكمة، كما لا يفترض ان ينتحل الصحافي صفة القاضي في ظل اعتكاف القضاة.

سين جيم

إعداد **صادق علوية**

يُنتخب رئيس الجمهورية اللبنانية من قبل أعضاء البرلمان، أي مجلس النواب الذي يتالف من 128 نائباً يُنتخبون على أساس المناصفة بين المسلمين والمسيحيين، كما ينص الدستور. ويعبّر عن منصب رئيس الجمهورية تارة بانه رئيس الجمهورية، وطوراً بانه رئيس الدّولة، إضافة الى نعته بانه رمز وحدة الوطن ويسهر على احترام الدستور والمحافظة على استقلال لبنان ووحدته وسلامة اراضيه وفقاً للدستور، وهو القائد الاعلى للقوات المسلحة التي لا تخضع لسلطته بل لسلطة مجلس الوزراء. في كل مرة يدنو موعد انتخاب رئيس الدولة تبدا التحليلات ويكثر خبراء الدستور الذين لا ينفكون يطيّعون الدستور بحسب هواهم السياسي. في حين ان الدستور واضح ولا يحتمل التاويل في معظم مواده. حتى ان عدم إيراد الدستور لمهل محددة جعل منه حجة. إلا انه في حالة انتخاب الرئيس، فقد حدّد الدستور مهلة واضحة لذلك. ولكن، ماذا لو لم يلتزم بها المعنيون؟ ماذا سيحصل ؟ لا شيء. سيجدون حينذاك تبريرا، وسنبدا جولة جديدة من مخالفات دستورية لا عقاب عليها سوى في اذهان الراسخين في العلم، في حين ان مبادئ مناقبية الحكم وحسّ المسؤولية والحكم الرشيد تقضي باحترام الدستور وباحترام كل فاصلة وحرف وجملة فيه، باعتباره القانون الاسمى في البلاد الذي يقتضي ان يسيّر اداء المسؤولين ويحكم عملهم.

شارل دباس
1926
1934

حبيب باشا السعد
1934
1936

إميل إده
1936
1941

الفرد نقاش
1941
1943

أيوب ثابت
19 آذار - 21 تموز
1943

بيترو طراد
22 تموز - 21 ايلول
1943

بشارة الخوري
21 ايلول 1943 – 1952

كميل شمعون
1952
1958

فؤاد شهاب
1958
1964

شارل حلو
1964
1970

سليمان فرنجية
1970
1976

الياس سركيس
1976
1982

بشير الجميل
23 آب 14 ايلول
1982

أمين الجميل
1982
1988

رينيه معوض
22 - 5 تشرين الثاني
1989

الياس الهراوي
1989
1998

إميل لحود
1998
2007

ميشال سليمان
2008
2014

ألف باء الطريق إلى بعبدا

(هيثم الموسوي)

1. متى يقتضي انتخاب رئيس الجمهورية؟

يجب انتخاب رئيس الجمهورية الجديد قبل موعد انتهاء ولاية رئيس الجمهورية الحالي بمدة شهر على الأقل أو شهرين على الأكثر، حيث يلتئم مجلس النواب بناء على دعوة من رئيسه لانتخاب الرئيس الجديد.

وتنتهي ولاية رئيس الجمهورية الحالي تنتهي في 31 تشرين الأول 2022، فتكون فترة هذا الاستحقاق بين 31 آب و31 تشرين الأول 2022، وتكون مهلة الشهر على الأقل التي تمثل الحد الأدنى هي 31 أيلول.

وإذا لم يُدع المجلس لهذا الغرض، فانه يجتمع حكماً في اليوم العاشر الذي يسبق أجل انتهاء ولاية الرئيس.

2. ما هي الشروط التي يقتضي توفرها في الرئيس لانتخابه؟

يجب أن تتوفر في المرشح لرئاسة الجمهورية الشروط التي تؤهله للنيابة وغير المانعة لأهلية الترشيح. وبالعودة الى قانون انتخاب أعضاء مجلس النواب، فإن المادة السابعة منه حددت حق الترشيح لعضوية مجلس النواب، ونصت على انه لا يجوز أن يترشح لعضوية مجلس النواب إلا من كان:

- لبنانياً (منذ أكثر من عشر سنوات)
- أتم الخامسة والعشرين من العمر
- مقيداً في قائمة الناخبين
- متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية

إضافة الى حالات عدم الأهلية للترشيح للنيابة للمذكورين في المادة 8 من قانون الانتخاب، فقد أكد الدستور على:

- عدم جواز انتخاب رئيس الجمهورية لولاية ثانية إلا بعد ست سنوات على انتهاء ولايته
- لا يجوز انتخاب القضاة وموظفي الفئة الأولى، وما يعادلها في جميع الادارات العامة والمؤسسات العامة وسائر الأشخاص المعنيين في القانون العام مدة قيامهم بوظيفتهم وخلال السنتين اللتين تليان تاريخ استقالتهم وانقطاعهم فعلياً عن وظيفتهم أو تاريخ احالتهم على التقاعد.

أما بالنسبة لطائفة الرئيس، فلم يرد في الدستور ولا حتى في وثيقة الوفاق الوطني (اتفاق الطائف) إطلاقا أي جملة تدل على ان يكون رئيس الجمهورية من طائفة معينة. إلا أن العرف درج على اعتبار هذا المنصب من حصة الطائفة المسيحية - المارونية .

> النصاب هو قاعدة قانونية ترعى اجتماعات الهيئات الجماعية التقريرية، وهي شرط لصحة الانعقاد ولصحة القرار الصادر عن المجتمعين

3. ماذا يعني النصاب القانوني وهو النصاب اللازم لانتخاب رئيس الجمهورية؟

النصاب هو قاعدة قانونية ترعى اجتماعات الهيئات الجماعية التقريرية، وهي شرط لصحة الانعقاد ولصحة القرار الصادر عن المجتمعين. اما بالنسبة إلى مجلس النواب، فهناك نصاب للجلسة، أي عدد النواب اللازم حضورهم، ونصاب آخر يمثل عدد الأصوات التي يجب أن ينالها المرشح. ويتمثل النصاب عملياً بحضور عدد معين من النواب الى المجلس، والتئامهم للمناقشة والانتخاب،

- في نصاب الأصوات:

حدّدت المادة 50 من الدستور نصاب الأصوات اللازمة لانتخاب رئيس الجمهورية، وهي غالبية الثلثين في الدورة الأولى والغالبية المطلقة في دورات الاقتراع التي تلي، أي يجب أن ينال رئيس الجمهورية 86 صوتاً في الدورة الأولى أو 65 صوتاً في الدورة الثانية. ولكن، في كلتا الحالتين يقتضي أن يكون نصاب الجلسة 86 نائباً على الأقل.

- في نصاب الجلسة:

بالنسبة إلى نصاب الجلسة، فقد درج مجلس النواب على اعتبار أن المقصود بالنصاب اللازم لصحة انعقاد جلسة انتخاب رئيس الجمهورية هو أن يتالف النصاب من ثلثي عدد أعضاء المجلس، لا من النصاب العادي، بمعنى أنه لا بد أيضاً للمرشح أن ينال في الدورة الأولى ثلثي أصوات أعضاء المجلس، الأمر الذي يفترض وجوب حضور هذين الثلثين، ومن دونهما لا يمكن بدء الجلسة والمباشرة بعملية الانتخاب، إذ أن التصويت بغالبية الثلثين من مجلس النواب في الدورة الاولى يشترط نصاباً يساوي أو يفوق الثلثين لانعقاد الجلسة.

4. من يفصل في صحة انتخاب الرئيس؟

يتولى المجلس الدستوري الفصل في صحة انتخابات رئاسة الجمهورية والبت في الطعون والنزاعات الناشئة عنها، وذلك بطلب من ثلث الأعضاء الذين يتالف منهم مجلس النواب قانوناً على الأقل. يقدَّم الطعن إلى رئاسة المجلس الدستوري خلال مهلة أربع وعشرين ساعة تلي إعلان النتائج تحت طائلة رده شكلاً. ثمَّ يصدر المجلس قراره بمهلة أقصاها ثلاثة أيام من تاريخ ورود المراجعة. ويبقى مجلس النواب منعقداً كهيئة انتخابية لحين صدور قرار المجلس الدستوري.

5. ما هي مدة ولاية رئيس الجمهورية:

مدة ولاية رئاسة الجمهورية محددة بست سنوات، ولا تجوز اعادة انتخاب الرئيس نفسه إلا بعد ست سنوات على انتهاء ولايته.

ميشال عون
2016 حتى الآن

ورد في محضر جلسة مجلس النواب التي انعقدت نهار الإثنين 31 تشرين الأول 2016 لانتخاب رئيس الجمهورية ميشال عون: عقد مجلس النواب جلسة في تمام الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الاثنين الواقع في 31 تشرين الأول 2016 برئاسة دولة الرئيس الأستاذ نبيه بري وذلك لانتخاب رئيس جديد للجمهورية.

حضر الجلسة 127 نائباً.

وقد حاز النائب العماد ميشال عون في الدورة الاولى على 84 صوتاً والنائب جيلبرت زوين على صوت واحد ووجدت 36 ورقة بيضاء وست أوراق ملغاة.

اما في الدورة الثانية فقد حاز النائب العماد ميشال عون على 83 صوتاً والنائب ستريدا طوق على صوت ووجدت 36 ورقة بيضاء وسبع أوراق ملغاة.

ثم أعلن العماد عون رئيساً للجمهورية.

محضر جلسة انتخاب رئيس الجمهورية ميشال عون نهار الإثنين 31 تشرين الأول 2016

الدستور اللبناني

قانون انشاء المجلس الدستوري

قانون انتخاب اعضاء مجلس النواب

وثيقة الوفاق الوطني (اتفاق الطائف)

نقاش

مشكلة عدم تقبّل الآخر

(مروان بو حيدر)

إذا كان اللبنانيون يتشاركون 93٪ من حمضهم النووي (راجع القوس عدد 20 آب الجاري)، لماذا يظن بعضهم أنهم متفوقون على الآخرين منذ الولادة؟ ولماذا يعتقدون بأن عاداتهم وطقوسهم الدينية وأعيادهم أفضل من عادات الآخرين وطقوسهم وأعيادهم؟ تقبّل الآخر لا يعني أن على الفرد أن يتقبّل سلوكيات الآخرين الخاطئة، وإنّما يتقبّل الآخرين كبشر لهم الحق في الحياة والاحترام بغض النظر عن سلوكياتهم. وإن كان يُطرح في تحديد المشكلة سؤال: من هو الآخر؟ فإنه ينطوي بداية على سؤال أهم: من نحن؟

■ بشرى زهوة

تقبل الآخر سمة من السمات الحضارية الغائبة عن معظمنا في لبنان. فالتقبّل يشمل الآخر كما هو؛ بفروقاته واختلافاته العرقية والفكرية والسياسية والدينية. إذ أنّ البعض يتّبع مبدأ «إمّا معنا أو علينا» وينعكس عدم تقبّلهم للآخرين المختلفين بشكل غير حضاري نتائج وخيمة، تؤدي إلى شجارات أو عداوات، وفي بعض الأحيان إلى ارتكاب جرائم. كما أنّ عدم التقبّل يمكن أن يكون عقبة أساسية أمام إحقاق الحق؛ وتحديدًا في المؤسسات القضائية التي قد لا تقوم بدورها بشكل سليم، وفقًا لأحكام المسبقة الموجودة لدى البعض - شئنا أم أبينا - خاصة أنّ القضاء في لبنان يُعاني من تغلغل السلطة السياسية فيه، ما قد يُعيق مسار التحقيقات، أو لربّما قد تصدر أحكام تنصف «الآخر» المقبول من قبل القاضي، وتظلم الآخر غير المقبول أو «المختلف». ولا ننسى في هذا الشأن التمييز الحاصل على أساس الدين والشكل واللباس، الذي يمنع المرأة المحجّبة من دخول سلك القضاء، رغم أنه يتعارض مع حرية المعتقد الذي ينص عليه الدستور اللبناني (المادة 9)، وكذلك المادة (12) التي تنص على أنّ «لكلّ لبناني الحق في تولّي الوظائف العامة». (راجع القوس عدد 28 أيار الماضي) الأحكام المسبقة في مجتمعنا هي معرفة مغلوطة، غير منصفة، وقائمة على السطحية والظلم، فهل من سبيل وأمل للتحرر منها؟

قبول الآخرين معناه تبادل الاحترام والمعاملة بعدل وانصاف، إذ أنّ العدل يحفظ المجتمعات ويصونها من التفكك، والإنصاف صفة تقي الأفراد من الظلم، من دون حاجة إلى الدّيان في الآخر، أو إلغاء الذّات أو الهويّة أو الثّقافة أو الإيمان، وذلك على مبدأ قوله تعالى في القرآن: «وَجَعَلْنَاكُمْ شعوبًا وقبائلَ لِتَعارَفوا» [الحجرات:13]. ومعنى تعارفوا، أي أن يحصل بينكم تبادل في المَنافع والأفكار والثّقافات. فالآية تدلّ على أنّ الاختلاف غنى، وأنّ تعدّد المجتمعات والبشر هو إرادة اللّه، والآية واضحة في قوله تعالى: «ولوْ شاءَ ربّكَ لجعلَ النّاسَ أمّةً واحدةً» [هود: 118]. كذلك فإن إظهار اللطف هو مظهر من مظاهر تقبّل الآخرين، فقد قيل عن السيد المسيح أنه: لا يُخاصِمُ ولا يَصيحُ ولا يَسْمَعُ أحَدٌ في الشَّوارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضوضةً لا يَقْصِفُ، وفَتيلَةً مُدَخِّنَةً لا يُطفِئُ (متى 12:19).

وإذا كانت الكتب السماوية عزّزت أهميّة تقبّل الآخر واحترام اختلافه، ما المانع لدى الناس باختلاف طوائفهم ومذاهبهم وأجناسهم في لبنان لأن يتقبلوا بعضهم بعضًا؟

كيف تُكرّس المواثيق الدولية والدّستور اللبناني حقّ حرية التعبير وحرية الآخرين؟

لكلّ شخص حقّ التمتّع بحرّية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحقّ حرّيته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأفكار وتلقّيها ونقلها إلى الآخرين، بأيّة وسيلة ودونما اعتبار للحدود. كما حدّدت المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تبنّته الجمعية العامة للأمم المتّحدة بتاريخ 1948/12/10، كذلك البند الأول من المادة 20، الذي أشار إلى أنّه «لكلّ شخص حقّ في حرّية الاشتراك في الاجتماعات والجمعيات السلمية».

كما أكّدت المادة 19 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 1966/1/16 وانضمّ إليه لبنان بتاريخ 1972/11/3، أنّ لكل إنسان حق اعتناق الآراء دون مضايقة. ولكل إنسان حق في حرية التعبير.

وقد تبنّى الدستور اللبناني في مقدّمته إلتزام لبنان مواثيق جامعة الدول العربية ومواثيق الأمم المتّحدة والإعلان العالمي لشرعة حقوق الإنسان. وأكّدت المادة 8 منه أنّ الحرية الشخصية مصونة وفي حمى القانون ولا يمكن أن يقبض على أحد أو يحبس أو يوقف إلّا وفاقًا لأحكام القانون، ولا يمكن تحديد جرم أو تعيين عقوبة إلا بمقتضى القانون.

لكن، رغم إلتزام لبنان بأحكام الدّستور والمواثيق الدولية التي تكرّس لكل فرد أو مجموعة حقّ التعبير عن آرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم بحرّية، إلّا أنّ ما يجري على وسائل التواصل الاجتماعي وداخل المنصات الإعلامية يسير في اتجاه معاكس، حيث تزداد مشاهد عدم تقبّل الآخر ورفضه. مثال على ذلك ما حدث بعدما جالت تجمّعات أنشودة «سلام يا مهدي» المناطق، فوُجّهَت إلى منظّمي هذه التجمعات اتهامات بتغيير وجه لبنان الحضاري، وأدلجة عقول الأطفال، وكان ممارسة الشعائر الدينية من دون إلحاق الأذى بأحد أمرٌ مرفوض أو أنه حكرٌ على طائفة محددة، علمًا أن المادة 9 من الدستور اللبناني تؤكد أنّ حرية الاعتقاد مطلقة والدولة بتاديتها فروض الإجلال لله تعالى تحترم جميع الأديان والمذاهب وتكفل حرية إقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على أن لا يكون في ذلك إخلال بالنظام العام، وهي تضمن أيضًا للأهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية.

الميم في لبنان

تحظر المادة 534 من قانون العقوبات اللبناني: «إقامة علاقات جنسية مع ما يخالف قوانين الطبيعة ويعاقب مخالفها بالسجن لمدة سنة». ورغم المطالبات بإلغاء هذه المادة، تصرّ الدولة على الاحتفاظ بها، علمًا أن «مجتمع الميم» (مثلي، مزدوج، متحول ومتحير) صار يمثل شكلًا جديدًا من التحديات التي تفرض تصادمًا بين أفراده والحكومة اللبنانية التي دخلت في مشاحنات غير مسبوقة مع المنتمين والمنتميات إلى هذه الفئة. ففي تموز الفائت طلب وزير الداخلية بسام مولوي من القوى الأمنية اتخاذ إجراءات صارمة لمنع تجمّعات مجتمع الميم خلال شهر الفخر (برايد) الذي يحتفل به المثليون في تموز من كل عام في أنحاء العالم. وبعد تعرّض الوزير لانتقادات من نشطاء، برّر موقفه بأن مثل هذه التجمعات تنشر «الانحراف» الجنسي وتتعارض مع القيم الدينية في البلاد.

«بالنسبة لي، هذا الأمر يندرج في خانة الحرية الشخصية، ولست أنا من أحاسب أو أطلق أحكامًا على هذه الفئة» تقول هزار حيدر، وهي أستاذة في جامعة كيبيك - كندا، متخصصة في الأخلاقيات البيولوجية (Bioethics). وحول نقطة الانطلاق لتقبّل هذا المجتمع، تُجيب: «هؤلاء أشخاص منبوذون من المجتمع ومن الصعب جدًا تقبّلهم بسهولة. لكنّ الحل ونقطة الانطلاق لتتعايش بسلام أن يبدأ كل فرد بنفسه. الحل فردي أكثر مما هو مجتمعي. وفي حال سرت العادة بالفردية من الممكن أن نُصبح مجتمعاً متقبّلاً نوعًا ما بعد فترة من الزمن».

وحول فرضية عدم التقبّل النهائي للمثليين، تجيب حيدر أنّ بعض الأشخاص لن يتقبّلوا مطلقًا فكرة اكتشافهم أنّ أحد أصدقائهم أو زملائهم مثلي الجنس. وفي مثل هذه الحالة من الأفضل أن يكون الشخص صريحاً بعدم تقبّله للآخر، وأن يصارحه مباشرة ويبتعد عنه من دون التشهير به أو جرحه أو أذيته». وتُشير حيدر إلى نقطة مهمة، وهي عدم إجبار المثليين على الزواج للتماشي مع المجتمع والتوافق مع معاييره، وخوفًا من «الفضيحة»، وذلك تفاديًا لدمار عائلة بأكملها في حال اكتشف الأمر لاحقًا.

في النهاية تؤكّد حيدر أنّ «أشكال التنمّر والتجريح مرفوضة في حال عدم تقبّل هؤلاء (...)، من الممكن أن يكون أمراً طبيعياً - بيولوجياً - أو خياراً شخصياً، أو حتى ظروفاً معيّنة. نحن بالتالي لا نعلم كل ظروف الإنسان الآخر. وكما يقول إحسان عبد القدوس في مقدمة كتابه بئر الحرمان: أسألوا الظروف.. لا تسألوا الناس».

> لحرية التعبير ضوابط وضعتها القوانين يقتضي مراعاتها كي لا تُرتكب الجرائم نتيجة لعدم تقبّل الآخر

الحجاب فرض أم حرية شخصية؟

«ليس الحجاب فريضة إسلامية تخص الإسلام وحده. فرض تغطية رأس المرأة يعود إلى قرون عديدة قبل الإسلام، وكان عادة منتشرة في المجتمعات المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط». بهذا القول للباحثة الجزائرية في الفكر الإسلامي، رزيقة عدناني، تبدأ روان (38 عامًا) كلامها حول استهجان الناس للحجاب، واعتباره مسيئًا للمرأة. تنتمي روان إلى عائلة مسلمة فتياتها غير محجّبات، لكنّها اختارت الالتزام بالحجاب خلال دراستها في فرنسا، وفي خضّم أزمة منع الحجاب وضجّة «البوركيني» على الشواطئ، فازداد تمسّكها به: «أهلي خافوا عليّ من الإسلاموفوبيا، بس أنا ما اهتميت، أخذت قراري ومبسوطة فيه». عادت روان إلى لبنان منذ ثلاث سنوات، وتعمل أستاذة في العلوم الجرثومية في إحدى الجامعات. ولا تزال تزور فرنسا للعمل على أبحاث مع أساتذتها ويطلب منه، في وقت تشير إلى أنّ كثراً من زملائها الأساتذة في لبنان يحاولون الاستخفاف بها بسبب حجابها. وتختم: «أهدي أبحاثي إلى كلّ شخص يقول إن الحجاب يحجّب عقل المرأة».

أمّا عايدة (45 عامًا)، وهي تاجرة ملابس نسائية، فقد عاشت في بلد أفريقي مع زوجها «المتحرر» الذي كان يجبرها على ارتداء ملابس مكشوفة: «أطول تنّورة كان يلبّسني ياها كانت شبر كرمال يشوف حاله قدام أصحابه». أكثر ما يثير استياء عايدة أن زوجها لم يكن يتقبّل فكرة أنّها مختلفة عنه، وترغب في أن تلبس لباسًا محتشمًا. «تحجّبت وهون كانت المصيبة بالنسبة له». جنّ جنون زوجها، فراح يجبرها على التواجد في أماكن تُسيء للحجاب كالنوادي الليلية والحفلات الراقصة الصاخبة. لكنّها ازدادت تمسّكًا بالحجاب وكانت نهاية ذلك أنّها طلبت الطلاق. عادت إلى لبنان مع أولادها الثلاثة وأصبحت المعيلة الوحيدة لهم. بعد أن كان هذا شرطه للطلاق. «من بعد ما طلّقني قال لي: خلّي الحجاب ينفعك». تؤكد عايدة أنّها ليست نادمة أبدًا، رغم معارضة أهلها لهذا القرار أيضًا.

في المقابل تقول مروى (37 عامًا) إنّها لا تزال تعاني من نظرات التأنيب بين أقاربها بعد خلعها الحجاب قبل عشر سنوات. «كنت اشلحه برّا البيت، وقبل ما أوصل البيسه». تأسّف لأن والدها أجبرها بقسوة على ارتدائه في عمر الـ 10 سنوات من دون أيّ مقدّمات مسبقة أو تهيئة للأمر أو حتى إفهامها السبب ورا» ذلك. وهذا ما ولّد لديها نقمة جعلتها تتخلّى عنه نهائيًا بعد وفاة والدها.

السؤال الذي يُطرح في هذا الشأن: لماذا يُهاجم فقط من يفرض الحجاب على ابنته أو زوجته، ولا يُكترث بمن يفرض خلع الحجاب أو يفرض نوع لباس معيّناً لا ترضاه المرأة؟ هنا تُصبح الحرية بعين واحدة.

جريمة في السينما

ظاهرة طعن المتحرشين

عندما نتحدث عن التحرش الجنسي في العالم العربي، يعني أن الفتاة هي المسبب الرئيسي لهذا الاعتداء. وتبدأ التحليلات: ماذا ترتدي؟ لماذا كانت تسير في هذا الشارع او ذاك؟ الا تعلم بأن عليها مراعاة غرائز الرجال؟ ففي شوارع المدن العربية، المدن الصاخبة والمكتظة، وخلف هذه الحياة التي توصف بالطبيعية، تنمو جرائم التحرش بشكل مريع. فتجد نساء من مختلف الاعمار يتعرضن للاعتداء والاستفزاز اللفظي والجسدي للإيقاع بهن جنسياً

■ شفيق طبارة

"678"، فيلم ينتقد بطريقة بنّاءة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تغذي وباء التحرش في مصر. ويحكي قصة ثلاث نساء من ثقافة اجتماعية غير متشابهة، يجدن أنفسهن ضحايا للتحرش الجنسي. فايزه (بشرى)، صبا (نيللي كريم)، نيللي (ناهد السباعي). ثلاث نساء يتخذن عبارة "ليس بعد الآن" كمسار لحياتهن، ويقمن بتطبيقها على كل حدث يمرن به، ما يمكنهن من اتخاذ تدابير صارمة ضد الرجال الذين يسيل لعابهم عند رؤية كل امرأة... لسن هن المذنبات، لكن بعد تعرضهن للتحرش الجنسي يوميا، يدركن أن الرجال هم "المصيبة" في انتشار هذه الآفة الاجتماعية. أما الحياة الزوجية، وما يتعرض له من قبل شريك حياتهن لا تختلف كثيرا عن التحرش في شوارع بلدهن. فيظهرن وكأنهن فقط للمتعة الجنسية في المنزل، وكأداة لإفراغ رغبات أزواجهن. يحمل الفيلم اسم 678 وهو رقم أحد الأتوبيسات حيث يعد أحد أكثر الأماكن ازدحاما ومسرحا لكثير من الانتهاكات الغير آدمية التي يبررها الزحام، وسيلة الموصلات الأقل سعرا والتي تناسب طبقة تصارع العوز والقهر تصبح وسيلة قهر آخري، وملجأ للمتحرش الجبان الذي يواريه الزحام ويجد دفاع وجيه في ظل تلاحم الأجساد الإجباري. يأتي الفيلم ليعرض هذا الوضع المقزز والمأساوي، وكيف يمكن أن تدافع المرأة وتحمي نفسها معنويا وجسديا، في مجتمع "محافظ" نوعا ما، تظهر فيه جرائم التحرش وكأنها رياضة ممتعة ومفيدة، يستلذ الشبان بممارستها، مع فتح سحاب سراويلهم لحظة رؤية مقاتن المرأة. فيلم يحكي "ثورة" ثلاث

> المآسي تدفع العديد من النساء الى الانتقام لتحقيق العدالة وحماية أنفسهن

نساء يقررن مواجهة كل هذه المصائب وينقلبن على الواقع المزري.

نيللي، فتاة متوسطة الحال، تضرب من حاول لمسها في الشارع، في أثناء نزولها من سيارة خطيبها متجهة إلى باب المبنى الذي تسكنه؛ لتقوم بعدها برحلة مواجهة مع المجتمع؛ لإصرارها على رفع دعوى قضائية تحت عنوان التحرش. صبا، الفتاة الثرية، تخسر زوجها نتيجة حادثة تحرش بها في ميدان عام، بعد مباراة لكرة القدم، وتطلب الطلاق منه لتخليه عنها عقب تعرضها للتحرش؛ وهو ما أدى إلى خسارتها جنينها جراء تداعيات الحادث. صبا تحول غضبها إلى حراك اجتماعي؛ فأسست جمعية تُطالب بالتصدي للتحرش؛ لتحول الأضواء إلى هذه القضية، على الرغم من رفض المجتمع الإعتراف بها. فايزة، هي زوجة شابة محافظة، فقيرة مضطرة لاستخدام الحافلة، تضطر على طعن أحد المتحرشين بها في منطقة حساسة، في محاولة منها للدفاع عن نفسها، في ظل الصمت المفروض عليها لدواعٍ اجتماعية. يقوم الفيلم على التفاعل بين النساء الثلاثة المختلفين عن بعضهم البعض، لكنهن يحملن نفس الندوب. فايزة وصبا ونيللي لديهن أفكار مختلفة حول الطريقة التي يجب ان تتصرف بها المرأة وكيف يجب أن تستجيب للتحرش. فايزة، تعتقد أن المرأة غير المتسترة في الأماكن العامة تميل إلى التحريض على هذا النوع من السلوك لدى الرجال، وهو أمر مثير للسخرية لأنها هي من تعاني أكثر شيء وهي دائماً متسترة من رأسها إلى أخمص قديمها. تعتقد صبا، أن معرفة الذات هي نقطة مهمة في هذه المعركة، وإن اخبار نفسك والاخرين بحدوث إساءة هو الخطوة الأولى في حل المشكلة. نيللي، من جانبها تعتقد أنه يجب إطاعة القانون وأن الرجل المتحرش يجب أن يعاقب بالعدالة. ولكن الراي العام ينتقد نضالهن، ويلقي نظرة سيئة على المرأة التي تصدر ضجيجاً ضد مشكلة تركها المجتمع المصري طي الكتمان. في النهاية، تحاول نيللي وصبا اتباع مقال فايزة التي وضعت خطة بسيطة وجريئة ومؤلمة لمعاقبة مهاجميها.

نجح محمد دياب، مخرج الفيلم، في تسليط الضوء على أبشع وأخطر ما تتعرض له المرأة المصرية يوميا في مجتمع ذكوري يحمي المعتدي ويلقي اللوم على الفتيات اللواتي يتعرضن للتحرش، بحجة أسلوب حكيها أو طريقة لبسها. وما ينتج عن ذلك من أزمات ومشاكل نفسية. كل هذه المآسي تدفع العديد من النساء الى الانتقام لتحقيق العدالة وحماية أنفسهن. وإن كانت الخطوة التي قامت بها فايزه تفضح عيوب المجتمع والنظام، فصبا ونيللي يحصدان الدعم التي هما بأشد الحاجة إليه، ليكونا هؤلاء الثلاثة صوت النساء اللواتي يتعرضن الى جرائم التحرش والعديد غيرهن.

("678" – محمد دياب)

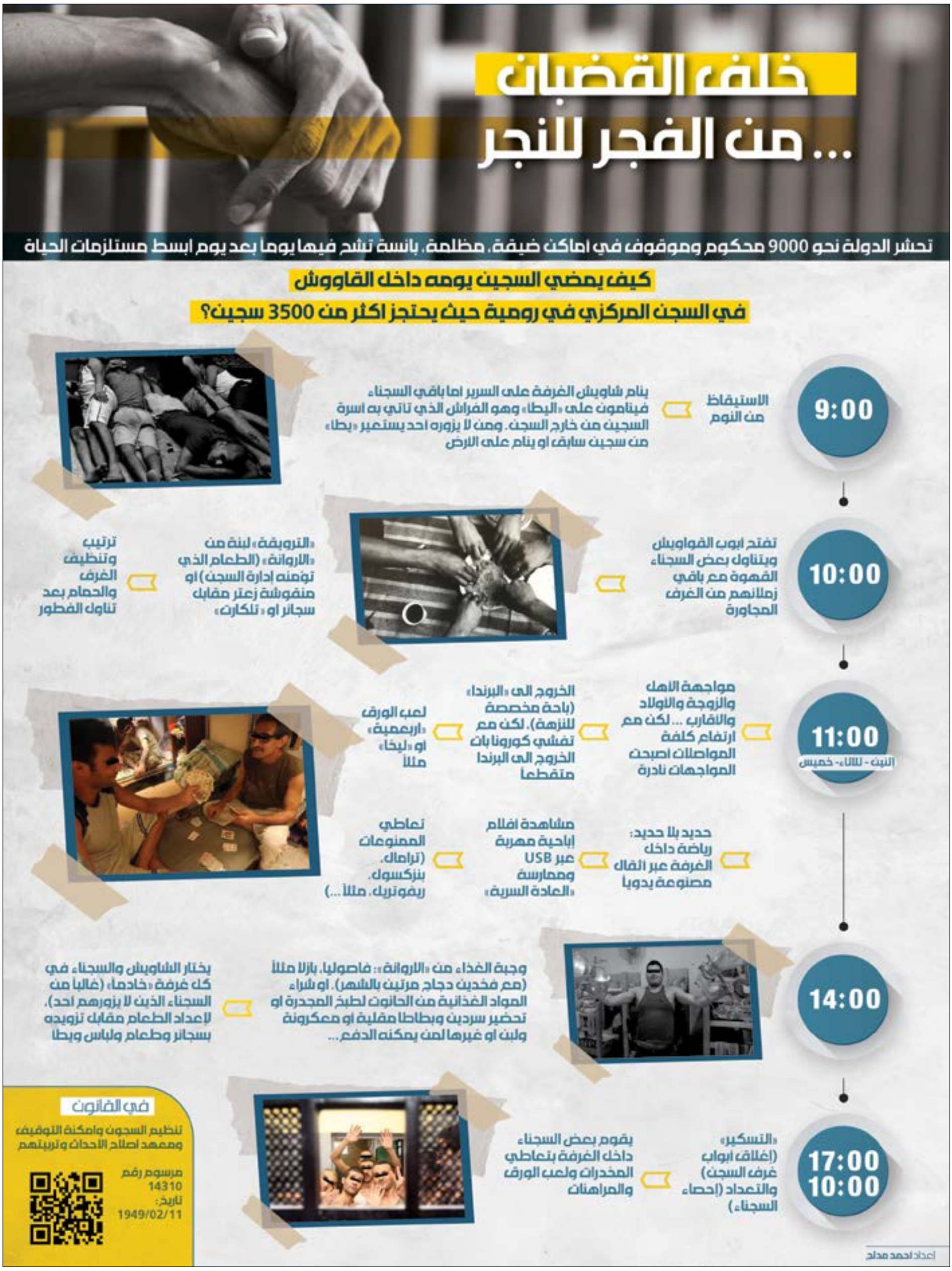

القوس
■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**
alqaous alqaous22 al_qaous alqaous 01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com